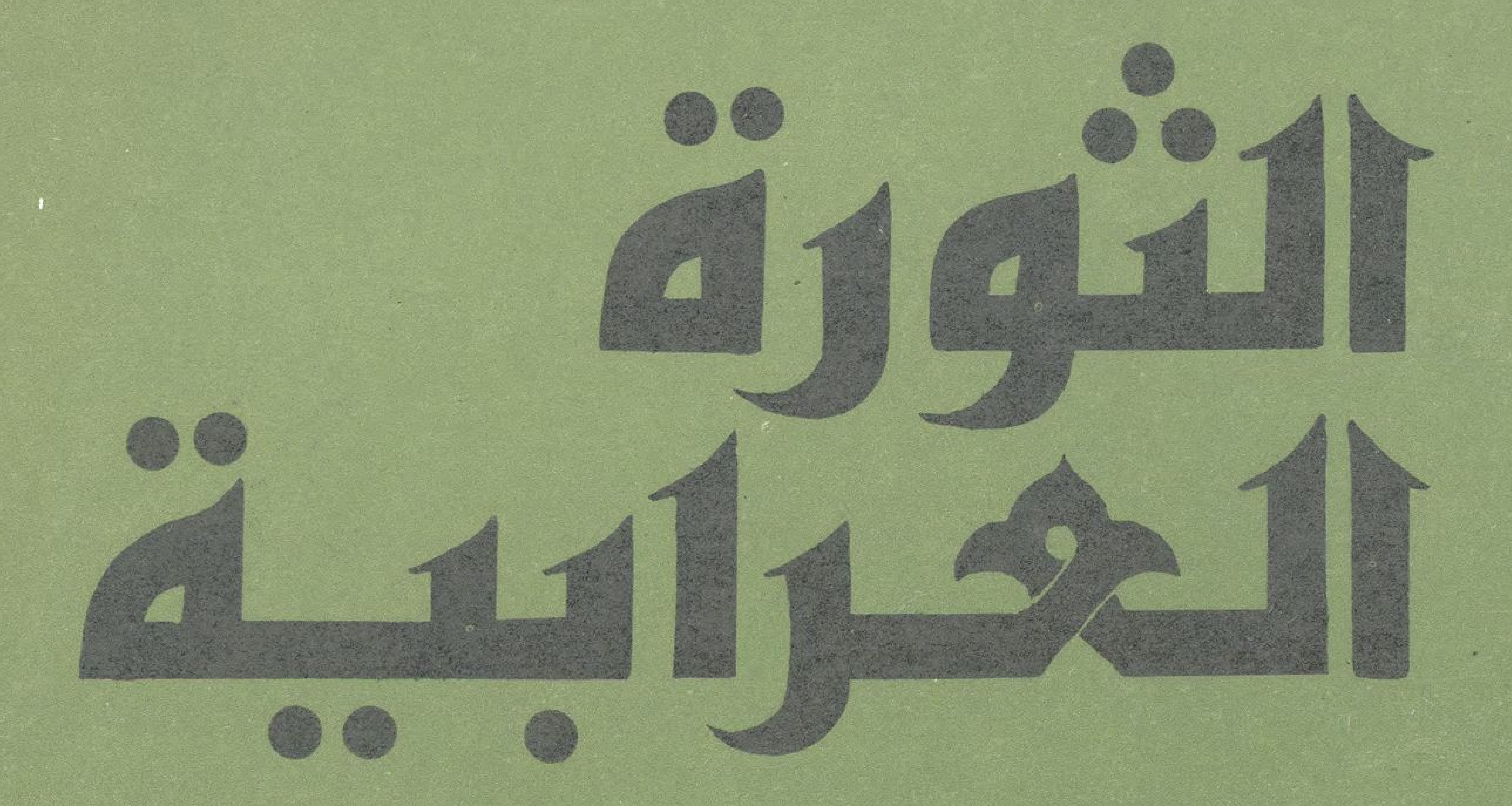



(٣ وثائق)

المستشار فؤاد حسن حافظ



المستشار فؤاد حسن حافظ

# الثورة العرابية

## (٣ وثائق)

# مقدمة

كان الرئيس **أنور السادات** أول من ذكر الشعب المصرى بحلول الذكرى المئوية لثورته الوطنية الكبرى التى قام بها فى سنتى ١٨٨١ ، ١٨٨٢ وتعارف على تسميتها « بالثورة العرابية » ، فإنه رغم انشغاله بحاضر هذا الشعب لم يغفل عن الإهتمام بماضيه لما يتضح من حديثه عن هذه الذكرى أنه يتجه إلى الملاءمة بين حاضر هذا الشعب وماضيه بتفسير الماضى على ضوء الحاضر واعتبار الحاضر الامتداد المنطقى للماضى .

وبناء على هذا التذكير ، ثم لكون الثورة العرابية لم تلق بعد الاهتمام اللائق بها ، ولم تزل المؤلفات عنها قليلة ولا تتناول كل جوانبها الداخلية والخارجية ، ولا ترجع غالباً بشأن ما تكتبه عنها إلى مصادرها الأصلية وعلى رأسها الوثائق الرسمية الدولية ومذكرات المعاصرين التى سجلت أحداثها إبان وقوعها . بناء على هذا وذاك فإننى أعتقد باعتبارى هاو قديم أدرس هذه الثورة منذ أربعين عاماً أن خير احتفال بهذه الذكرى إنما يكون بكتابة المؤلفات الجديدة

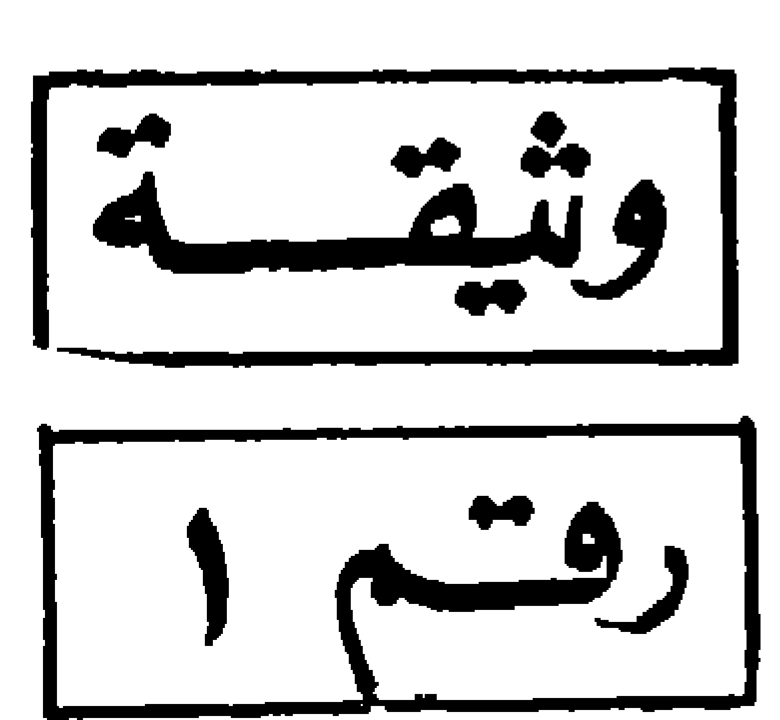
والحدية وبنشر المعلومات غير المعروفة عنها ، وبترجمة ما نشر عنها فعلا من المؤلفـات والمعلومات وخاصة تلك التى تكاد تكون مجهولة لنا منها — ترجمتها إلى لغتنا العربية . ولا شك أن هذه الفكرة قد ساورت أيضاً كثيرين غيرى ، بل ولقد نفذها فعلا بعضهم ، فقد ظهرت مؤخراً فى سنة ١٩٨٠ بالقاهرة طبعة مصورة بالأوفست من كتاب المحامى البريطانى **ألكسندر برودلى** ( كيف دافعنا عن عرابى وزملائه) المطبوع أصلا باللغة الإنجليزية فى سنة ١٨٨٣ بلندن .

وما أنشره حالياً عن ذلك مع بعض التعليقات يمثل ثلاث وجهات نظر مختلفة من هذه الثورة ، وهو ما يلى :

أولا — ترجمة عربية عن الفرنسية لجزء من مذكرات السياسى والمصلح التونسى والعثمانى المعروف **خير الدين التونسى باشا** ، المعاصر للثورة العرابية والممثل لموقف بعض الدوائر بالدولة العثمانية التى كانت ترمى لتقوية علاقاتها بمصر .

وثانياً — ترجمة عربية عن الإنجليزية للبحث الرائد الذى ألفه المؤرخ الأرمنى السوفيتى المعاصر لنا **جورجى نرسيسوف** عن « الأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ — سنة ١٨٨٢ والسياسية الروسية » معتمداً على الوثائق الروسية الرسمية المعاصرة للثورة العرابية ، والممثل لموقف الدولة الروسية القيصرية منها .

وثالثاً — ترجمة عربية عن الإنجليزية لمقتطفات من مذكرات **كوسل بك** الموظف البريطانى بمصر فى زمن الثورة العرابية ، وتتضمن أعمالاً قام بها ضد هذه الثورة ، كما أنها تمثل موقف القطاع الاستعمارى من الرأى العام البريطانى منها .


وثيقة
رقم ١

# أ من مذكرات خير الدين التونسى باشا عن الثورة العرابية

## ١ – تعريف بالمذكرات وصاحبها وتعليق عليها

خير الدين التونسى باشا (سنة ١٨١٠ – سنة ١٨٨٩) ، هو السياسى والمصلح التونسى والعثمانى المعروف ، وأصله من القوقاز وقدم إلى تونس صغيراً فى سنة ١٨٣٩ ، وبها قضى معظم حياته وتولى عدة مناصب وكان وراء صدور الدستور التونسى الأول * فى سنة ١٨٦١ ، ثم عين وزيراً أكبر لها فى سنة ١٨٧٣ ، وبعدئذ استدعى إلى القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية فى ١٨٧٨ ليكون الصدر الأعظم اى رئيس الوزراء لهذه الدولة فى سنة ١٨٧٨ – سنة ١٨٧٩ . وفى زمن الثورة العرابية بمصر (سنة ١٨٨١ – سنة ١٨٨٢ كان لم يزل مقيماً بالقسطنطينية بصفته من كبار رجالات الدولة

(*) المعروف بعهد الأمان .

العثمانية ويستشار فى شئونها ، وذلك حتى وفاته بهذه العاصمة فى سنة ١٨٨٩ .

وقد ألف كتابه المشهور (أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك) باللغة العربية وطبع للمرة الأولى فى سنة ١٨٦٧ بتونس ، وكذلك (مذكراته) باللغة الفرنسية وطبعت للمرة الأولى فى سنة ١٩٧١ بتونس أيضا ونشرها وعلق عليها الأستاذان المؤرخان الفرنسى **جان بينون** ، والتونسى **محمد صلاح مزالى** (رئيس وزراء تونس الحالى)

وفيما يلى جزء من هذه المذكرات نقلته إلى اللغة العربية وهو الجزء الخاص بالثورة العرابية ، ويكشف عن عجز الدولة العثمانية فى اتخاذ موقف محدد من هذه الثورة التى وقعت بمصر التابعة إسمياً عندئذ لها أى لهذه الدولة ، كما أنه يوضح رأى صاحب المذكرات فى هذه الثورة الذى هو تطبيق لفكره العام (الإصلاح فى إطار عثمانى) الذى سأشرحه فى التعليق على هذه المذكرات فيما يلى .

ثم أضيف أن موقف الدولة العثمانية من الثورة العرابية هو أحد جوانبها الهامة لأنه فوق أن مصر فى زمنها كانت رسمياً ولاية عثمانية (وإن كان ذلك إسمياً لتمتعها واقعياً بالاستقلال) ، فإن الدولة العثمانية قد شاركت فى أحداث هذه الثورة ، بل ولقد اعتبرت المسألة المصرية عندئذ جزءاً من المسألة الشرقية . ورغم ذلك فإننا

لم نرجع حتى الآن إلى الوثائق التركية العثمانية الرسمية وإلى المؤلفات التركية العثمانية فى كتاباتنا عن الثورة العرابية .

على أنه جدير بالذكر أن مجموعة الأبحاث التاريخية عن مصر منذ الفتح العثمانى المسماة (التغيير السياسى والاجتماعى فى مصر الحديثة) والتى أشرف على نشرها الأستاذ المؤرخ البريطانى المعاصر ب . هولت والمطبوعة باللغة الإنجليزية بأكسفورد فى سنة ١٩٦٨ ، قد تضمنت بحثاً بهذه اللغة للأستاذ المؤرخ التركى المعاصر لنا حسن أضالى عن الوثائق التركية العثمانية الرسمية المذكورة الخاصة بالمسألة المصرية المحفوظة بمجموعة قصر يلدز باسطنبول ( وهى القسطنطينية العاصمة العثمانية السابقة ) أشار فيه إلى أن السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى قد جمعها للرجوع إليها وإن ضمنها محاضر مجلس الوزراء والمجلس الخاص وأوراق أخرى منها التعليمات المرسلة إلى درويش باشا المبعوث العثمانى إلى مصر وخطابات من عرابى باشا ومحمود سامى البارودى باشا إلى هذا السلطان . وأن هذه الوثائق طبقاً لرأيه (أى لرأى هذا الأستاذ المؤرخ التركى المعاصر لنا ) تدل على أن العلاقات بين مصر والدولة العثمانية كانت أشد توثقاً وانتظاماً مما كان يعتقد .

ولعل هذا الجزء من مذكرات خير الدين التونسى باشا هو أول ما ينشر بمصر عن الثورة العرابية نقلا عن المصادر التركية العثمانية .

(الناشر)

## ٢ — نص المذكرات

بعد ضرب الأسطول البريطاني للاسكندرية، (*) دعيت لجلسة استثنائية تعقد بقصر يلدز فحضرتها مع رئيس وزراء الدولة العثمانية ووزرائها العاملين وزميلاى صفوت باشا وعريفى باشا(**) من رؤساء وزرائها السابقين، وأعلن رئيس الوزراء الحالى سعيد باشا كوجوك (اننا مجتمعون لمناقشة المسألة المصرية) وقال (أنتم تعرفون هذه المسألة . وقد طلب منا التدخل العسكرى المسلح فى مصر (***)

---

* ضرب الاسكندرية كان فى يوم ١١ يولية سنة ١٨٨٢

** صفوت باشا وعريفى باشا كانا رئيسين للوزارة العثمانية فى سنة ١٨٧٨ وفى سنة ١٨٧٩ أى قبل وبعد خيرالدين التونسى باشا كاتب هذه المذكرات، وقد دعى هؤلاء جميعاً لهذه الجلسة بصفتهم من رؤساء الوزراء السابقين

*** يشير إلى مذكرة مؤتمر سفراءالدول الكبرى (بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا) بالقسطنطينية التى وضعوها فى يوم ٦ يولية سنة ١٨٨٢ باقتراح هذا التدخل والتى قدمت إلى السلطان العثمانى فى يوم ١٥ يولية سنة ١٨٨٢ وهو اليوم التالى لنزول القوات البريطانية بالاسكندرية بعد ضربها، ولما كان مجلس الوزراء العثمانى قد تناقش فى هذه المذكرة لمدة ثلاثة أيام فيمكن تعيين يوم هذه الجلسة التى حضرها المؤلف ولم يحدد تاريخه بيوم ١٨ أو يوم ١٩ يولية سنة ١٨٨٢، وراجع نص هذه المذكرة فى كتاب المسألة المصرية تأليف فرسينيه طبع باريس بالفرنسية فى سنة ١٩٠٦ ص ٢٩٧

لإعادة النظام إليها ، وتداول مجلس الوزراء فى ذلك الأمر ثلاثة أيام ولم يصل إلى نتيجة ، ولهذا جمعكم السلطان ( عبد الحميد الثانى سنة١٨٧٦ —سنة١٩٠٩) لتبدوا رأيكم فى احتمالات التدخل العسكرى المسلح فى مصر ) .

وبهذه الطريقة الجافة عرض للمناقشة مستقبل ولاية من أحسن ولايات الدولة العثمانية ، فدهشت وآثرت الصمت ، ولم يطلب أحد من الحاضرين الكلمة وحادثوا بعضهم بعضاً، فقاطعهم رئيس الوزراء ( الحالى سعيد باشا كوجوك ) ووجه إلى الخطاب رأساً طالباً رأيى فوجب على الرد وقلت (أنت تطلب الرأى بناء على اعتقادك إننا ملمون بالمسألة المصرية . من الجائز أن يكون الوزراء الحاليون متابعين لها ولديهم المعلومات الكافية عنها لإبداء رأيهم فيها. ولكننى لاأملك معلومات جدية عنها وليست لدى المعطيات اللازمة لكى ألم بهذه المسألة ، فكل ما أعرفه عنها هو ما نشر بالصحف ، فهى قد ذكرت أحداث مصر والخلافات التى وقعت بين الخديوى (توفيق باشا) وبين الشعب المصرى(*) ، وتدخل بعض الدول الأوربية (**) فى هذه الظروف الصعبة وأعلنت عن سفر وعوده

* يشير إلى الثورة العرابية .

** يقصد بريطانيا وفرنسا .

مبعوثين عثمانيين(*) . وهذه المعلومات مهما كانت صحتها لاتكفى لتكوين رأى ، هذا فى حين أنها غير دقيقة ولم تشرحها وتؤكدها الحكومة ، فهى إذن لاتقدم للمجتمعين هنا حتى العناصر اللازمة للمناقشة . ومن واجب رجل الدولة ألا يكون رأياً لحل مشكلة ما دون أن يعرف أسباب نشوئها بالضبط . و فى حالتنا فإن الماضى ليس تاريخاً بل هو الأمس القريب . فعلى الحكومة قبل أن تطلب رأينا أن تعرفنا بالمسألة المعروضة علينا ، وتبين المراسلات التى تمت بين الدولة العثمانية وبين الدول الأخرى وخاصة بريطانيا . وماهو موقف هذه الدول وما هى التعليمات التى أعطيت للمبعوثين العثمانيين وماذا فعلوا وما هى نتائج بعثاتهم. فعليك إعطاؤنا المعلومات اللازمة فإن حصلنا عليها تعرفنا على المسألة المعروضة ، وهى خطيرة وهامة جداً للدولة العثمانية، ولكنها لاتناقش إلا إذا عرفنا كل الحقائق عنها ) :

فعرض رئيس الوزراء ( الحالى سعيد باشا كوجوك ) ملخصاً لما نشرته الصحف المحلية ، ولما أفهمته أنه لايفيدنا ، أجاب أن معلوماته لاتتعداه ، فأدهشنى هذا الجواب لأن الحكومة التى دعتنا للمناقشة لم تعطنا مانناقشه ، ولم يكن لدى ما أقوله فتوقفت عن توجيه الأسئلة

* يشير إلى بعثة نظامى باشا فى سنة ١٨٨١ ، ثم إلى بعثة درويش باشا فى سنة ١٨٨٢ ، وقد أوفدهما السلطان العثمانى المذكور إلى مصر .

إلى رئيس الوزراء ( الحالى **سعيد باشا كوجوك** ) ، ولكن لما طلب منى جميع الحاضرين إبداء الرأى فى التدخل العسكرى المسلح ( العثمانى ) فى مصر عدت إلى الحديث وقلت

( تعلمون مما قلته انني عندما أكون رأيى بناء على معلوماتى سأشارك الحكومة فى مسئولياتها ، ولكننى لم أتلق منها بعد معلومات لتكوين رأيى ). وبعد هذا التحفظ أقول إن إعادة النظام إلى مصر لا يمكن تحقيقه إلا بتدخل عسكرى مسلح ( عثمانى ) . ويجب ألا تتردد الحكومة العثمانية فى إرسال قواتها فوراً ( إلى مصر ) لتقضى على كل احتمال لتدخل عسكرى مسلح فيها من دول أخرى . ولمصر أهمية كبرى للدولة العثمانية وللإسلام لأنها المركز الذى تتجمع حوله جميع الولايات العثمانية ، وفقدانها سيؤدى إلى تفسخ الدولة العثمانية . ومن المؤكد اننا فى القرن الماضى قد صادفتنا تجارب مؤلمة إذ خسرنا ولايات تحولت إلى ممالك مستقلة مثل اليونان ورومانيا والعرب فتقلصت الدولة العثمانية ، ولكنها لم تصب فى الصميم . غير أنه إذ استولت دولة أجنبية على مصر فإنها ستوجه ضربة قاتلة إلى قلب الدولة العثمانية . ولهذا فما دمنا لانرغب فى هدم الصرح الذى أقامه آل عثمان ، فإنه يجب علينا أن نطلب إلى السلطان التدخل تدخلا عسكرياً مسلحاً ( بمصر ) دون تأخير لأنه يجب تجنب تلطيخ أراضى الدولة العثمانية بالاحتلال الأجنبى ولكن مع إقرارى مبدأ

التدخل العسكرى المسلح العثمانى بمصر أضيف أنه يجب ألا يكون لمصلحة الدولة العثمانية وحدها ولكن لمصلحة مصر أيضا (*) ، فلا يكفى فقط إعادة النظام الذى اضطرب واختل والقيام بمظاهرة عسكرية للحفاظ على مركز الخديوى ( توفيق باشا ) ، بل يجب انتهاز الفرصة

---

* هذا الرأى الذى أبداه المؤلف ماهو الا ترديد لفكره ولسياسته (الإصلاح فى إطار عثمانى ) اللذين شرحهما فى كتابه «أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك» واختطهما لنفسه واعتنقهما وعبر عنهما فى مذكراته بقوله ( لقد كنت مؤمناً راسخ الإيمان أن المملكة التونسية ينبغى أن تجد فى الروابط التى تربطها بالخلافة العثمانية أمنع حصن يصونها من أطماع الدول الأوروبية المختلفة ، وعلى مر الزمان سواء أكنت مواطناً أم موظفاً بسيطاً أم وزيراً أكبر ، فانى لم أنفك أؤيد حقوق الدولة العثمانية فى تونس وأنصح بايات تونس باقرار الروابط مع الدولة العثمانية وتوطيدها ) ( لأن هذا الارتباط ضمان الاستقلال فما دامت الخلافة قائمة فان الولايات التابعة لها لن تخشى شيئا لأن كيانها رهين حل المسألة الشرقية ) — عن أقوم الممالك . طبعة ثانية بتونس فى سنة ١٩٧٢ بتحليل الأستاذ المنصف الشنوفى ص ٤٥ ، والمذكرات ص ٣٨ و ص ٢٠٣ .

وجدير بالذكر أن المؤلف (خير الدين التونسى باشا ) كان رئيس وزراء الدولة العثمانية عندما خلع السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى ، الخديوى إسماعيل باشا عن ولاية مصر فى سنة ١٨٧٩ ، وقد ساهم المؤلف فى تدبير هذا الخلع ووقع وأرسل برقيته المشهورة ، وذلك ممارسة منه لسياسة توطيد الروابط بين الدولة العثمانية وولاياتها . هذا وقد سجل المؤلف ظروف اتخاذ قرار الخلع المذكور فى موضع آخر من مذكراته . ( الناشر )

لإجابة المطالب المشروعة للشعب المصرى وضمان إدارة حسنة له ووضع حد لما يعانيه وتقريبه إلى عرش السلطنة بتقوية علاقاته معها وبتعريفه بها .

ونحن جميعاً نعلم — ولعل هذا ما نعلمه فقط — مدى ما قاسته مصر فى عهد الخديويين الآخيرين ( اسماعيل باشا وتوفيق باشا ) ، فقد أرهق المصريون بالضرائب وسيطر على بلدهم حكم مطلق ، فإذا أيدنا هذا الوضع الذى قام ضده المصريون مطالبين بحقوقهم فإننا لن نثيرهم فقط بل سيكون عملنا ظالماً أيضاً . وعلى العكس من ذلك لو استجاب السلطان وهو صاحب السيادة الأوحد على مصر إلى مطالب شعبها المشروعة من الخديوى ( توفيق باشا ) ، فإن ذلك سيؤدى إلى إقامة حكم شعبى بها أفضل مما يفرضه الأجانب عليها ويحد من سلطات هذا الخديوى ويستند فى قراراته إلى ممثليها برجوعه إليهم دائماً ، وباختصار سيحفظ استقلال مصر الإدارى الذاتى دون أن يتركه لأهاوء حاكميها ويعيد الرخاء إليها ويؤكد روابطها الشرعية بالدولة العثمانية التى يرضى عنها ويتقبلها شعبها ( المصرى ) . وستكون دول أوربا ذاتها راضية ومصالحها مضمونة ولن يتاح لها التدخل فى الشئون المصرية . ويجب أن يصاحب الحملة العسكرية العثمانية ( إلى مصر ) ممثلون للسلطان من ذوى الخبرة لتنفيذ مخططه بعد بحث الأحوال بها بعناية والاستماع إلى مطالب الشعب ( المصرى ) وإجابتها

بما يقتضيه العدل . وإذا كان المصريون – كما أعتقد – يسعون إلى وقف خديويهم عن جرهم إلى الخراب وإلى تحسين أحوالهم ويخلصون للخليفة ( للسلطان ) ويلتمسون منه شخصياً التأييد ، فإن مطالبهم تتفق مع الشرع الإسلامى ولا يسعنا ديانة اعتبارهم عصاة ، كما أنه لايصح أن يتهم بالعصيان جمهور كبير من الناس يقاوم حكما استبداديا معروفا لنا ، ويجب أن يمارس مبعوثو السلطان دعاية سلمية للتوفيق بين مصالح الجميع ، بينما تقوم الحملة العسكرية التى سيرسلها بحفظ النظام لأن العدل أساس الملك والشرائع السياسية والدينية .

وبعد كلمتى أعلن **عثمان باشا** ( أحد الوزراء ) أنه لم يفهم منها ما أراه بشأن الخديوى ( **توفيق باشا** ) ، فأجبته باختصار أن تصرفاته ليست محل ثقة وإننى لاأومن بإخلاصه لأنه يواصل السياسة المستقلة لأسلافه ، ولئن كنت لاأطالب بعزله ولأن هذا مستحيل عملياً ، فإننى أطالب بوضع نظام يحد من سلطاته بقدر الإمكان ويمنع أن تكون مطلقة .

وانفض الاجتماع لبضع دقائق وانقسم حاضروه إلى مجموعات لبحث برنامجى ( مقترحاتى ) ، ولما عرض للتصويت وافقت عليه دون تحفظ غالبيتهم .

وقام أحد المعارضين وهو الوزير **محمود باشا** بشرح وجهة نظره

قائلا إن تنفيذ مقترحاتى سيؤدى إلى انفصال مصر عن الدولة العثمانية لأن سكانها من العرب وسيفصلونها اختياراً ويكونون منها دولة مستقلة

وكنت الوحيد بالاجتماع الذى يمكنه الرد على هذا الرأى غير الصحيح وغير العادل لأننى أعرف العرب خيراً من كل حاضريه بحكم إقامتى سنين طويلة بينهم (أى بين العرب) فى تونس ، فقلت : ( مصر مثل تونس التى أعرفها عن خبرة أربعين عاما أقمتها بها وشغلت فيهـا جميع درجات الوظائف حتى رئاسة الوزراء التى ظللت بها عشر سنوات يجب التمييز فيها بين فريقين من الأهالى الأول فريق الحاكم وحاشيته وهو لايفكر إلا فى الانفصال والاستقلال (عن الدولة العثمانية) لإرضاء المصالح الشخصية والطمع والغرور والفريق الثانى يتكون من الموظفين المخلصين وعامة الشعب ويرغب فى الاتحاد مع الدولة العثمانية لأنه يفهم أنها أحسن ضمان ضد تهجمات دول أوربا ولاينسى ماكلف العرب فى أسبانيا انقسامهم إلى دويلات ، ولديكم دليل على هذه الحقيقة فى حوادث تونس الأخيرة ففى حين استسلم الباى وحاشيته إلى فرنسـا بموجب معـاهدة القصر السعيد (المبرمة فى يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨٢) قامت عامة الشعب مستندة إلى حقوق السلطان ( العثمانى ) وقاومت الغزو الفرنسى بكـل شجاعة. ولهذا فكيف يمكن أن يقال إن إضعاف قوة حزب الخديوى

وتقوية الحزب الوطنى سيؤدى إلى فصل مصر عن الدولة العثمانية إن هذا فى اعتقادى سيؤدى إلى توثيق علاقاتهما ).

ولم يرد **محمود باشا** . وشرع فى تحرير مضبطة الجلسة وفقاً ابرناجى لعرضها على السلطان ، وعهد رئيس الوزراء الحالى **سعيد باشا كوجوك** ) بتحريرها إلى **محمود باشا** ذاته ، ولكن أسباب قرار حاضرى الاجتماع تضمنت أن **عرابى باشا** وزملائه بعصيانهم خرجوا على القانون وأخلوا بالنظام وعرضوا مصر للخطر أيضاً . فاعترضت على هذه الأسباب لما قرئت علينا المضبطة وأعلنت أننى لن أوقع عليها لمنافاتها لهيبة الدولة ( العثمانية ) وقلت ( كيف تؤيدون حزب **عرابى باشا** بالأمس بمكافأته بالنيشان المجيدى من الطبقة الأولى ثم تعلنون اليوم عصيانه . وما هى المصلحة فى هذا الذى سيسئ إلى غالبية الشعب المصرى؟أليست لديكم بواعث أفضل للتدخل العسكرى المسلح فى مصر كمصلحة الدولة العثمانية أو مصلحة مصر ذاتها ؟ )

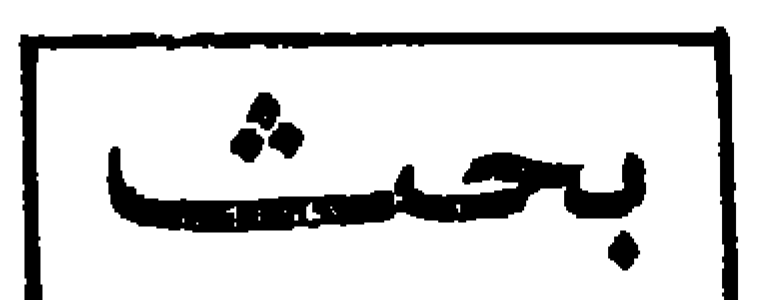
ورد **سعيد باشا** ( **كوجوك** رئيس الوزراء الحالى ) بلهجة ساخرة ( إن الدولة قد تكافئ قاطع الطريق للتوصل إلى القبض عليه ) فآلمنى سماع ذلك وقلت له ( من الجائز أن تلجأ الشرطة إلى هذه الوسائل ولكن أية حكومة تحترم نفسها لاتلجأ إليها . إننى غير آسف على مكافأة **عرابى باشا** رغم أننى لم أكن لأوافق عليها لوكنت قد استشرت بشأنها ، ولكنه وقد كوفئ فعلا فإن الإشارة إلى عصيانه

فى قرارنا يولد الظنون فى هيبة الدولة ( العثمانية ) . وسياستها ) .
وبناء على ما أوضحته انضم إلى المجتمعون ورفعت الأسباب المشيرة إلى عصيان عرابى باشا من المضبطة .

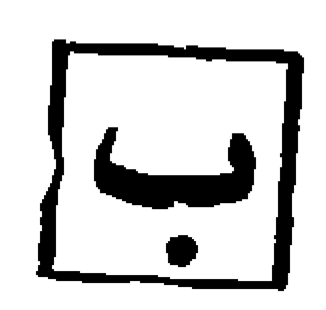
ومنذ ذلك الحين لم أدع إلى جلسات مجلس الوزراء وتطورت الحوادث بسرعة وعلمت من الصحف أن بريطانيا تمكنت من انتزاع إعلان من السلطان بعصيان عرابى باشا إذ جعلت ذلك شرطاً لتوقيع الاتفاقية العسكرية التى أبرمتها معه * ومنذ توقيعها تسارعت الأحداث حتى احتل البريطانيون القاهرة فى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دون أن تتمكن الدولة العثمانية من المشاركة فى التدخل العسكرى المسلح بمصر .

---

* هذه الاتفاقية أبرمت بالقسطنطينية فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وأقرت مساهمة الدولة العثمانية فى التدخل العسكرى المسلح بمصر ، وبينت كيفية إرسال قواتها إليها للعمل إلى جانب القوات البريطانية . وقال عنها فرسينيه فى كتابه سالف الذكر نقلا عن رسالة سفير فرنسا بالقسطنطينية إلى وزير خارجيتها المؤرخة فى يوم ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ( وافق السلطان أمس على التوقيع على الاتفاقية العسكرية . وفى صباح اليوم نشرت الصحف العثمانية إعلان عصيان عرابى باشا ، وهو فى صالح بريطانيا لأنه يسوغ ضربها للاسكندرية وتدخلها العسكرى المسلح فى مصر ويؤيد بقوة الخديوى ) راجع الكتاب المذكور ص ٣٢٧ . وكان مؤلفه رئيساً لوزراء فرنسا فى زمن الثورة العرابية .




# وثائق ٢



## الأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ والسياسة الروسية

# دراسة مستندة الى الوثائق الروسية الرسمية للمؤرخ الأرمني السوفيتي المعاصر لنا جورجي ترسيسوف

### ١ ـ تعريف بالبحث

ألف هذا البحث المؤرخ المستشرق الأرمنى السوفيتى المعاصر لنا جورجى ترسيسوف ، وألقاه فى مؤتمر دراسة العلاقات التاريخية بين شعوب الاتحاد السوفيتى وأفريقيا المنعقد فى موسكو فى الفترة من ١٩ حتى ٢١ مايو سنة ١٩٦٥ تنفيذاً لقرار اليونسكو ( منظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة والعلوم ) بالتعاون مع أفريقيا ، وموقوتاً بالاحتفال بيوم أفريقيا فى سنة ١٩٦٥ . وقد نظمت هذا المؤتمر الأكاديمية العلمية السوفيتية وجمعية الصداقة السوفيتية مع شعوب أفريقيا . ثم نشر هذا البحث ضمن بحوث أخرى وخاصة من تلك التى ألقيت بهذا المؤتمر فى كتاب « روسيا وأفريقيا » المطبوع باللغة

الإنجليزية فى موسكو فى سنة ١٩٦٦ والـــذى صار الآن نادراً لأنه طبعت منه ١٩٠٠ نسخة فقط ونشرته الأكاديمية العلمية السوفيتية

وهذا البحث رغم اختصاره بحث رائد لاعتماده على وثائق روسية رسمية معاصرة لهذه الأزمة المصرية — هى وثائق ديوان قيصر روسيا ، ووثائق وزارتى الخارجية والبحرية الروسيتين غير المنشورة كلها ، والتى على حد علمى لم يستخدمها من قبل أحد من المشتغلين بالمسألة المصرية — وخاصة خارج الاتحاد السوفيتى — فى الكتابة عن هذه المسألة — والثورة العرابية جزء منها — لعدم إلمامهم بلغتها الأصلية وهى الروسية ولصعوبة الوصول إليها . وفضلا عن احتواء هذا البحث لمعلومات غير معروفة مستندة إلى هذه الوثائق ، فإنه يعرفنا كيف يكتب المؤرخون السوفيت عن تاريخنا وكيف يقومونه ، كما أنه يلفت أنظارنا إلى مؤلفاتهم وإلى الوثائق المشار إليها لنطلع عليها ولنرجع إليها أيضاً استكمالا لكتابة بعض جوانب تاريخنا .

ولقد كان هذا البحث الموجز حافزاً لمؤلفه للتوسع فى موضوعه وكتابة كتاب ضخم عنه باللغة الروسية إسمه « التاريخ الدبلوماسى للأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ — سنة ١٨٨٢ . معتمداً فى المقام الأول

على ذات الوثائق الروسية الرسمية المذكورة . وتم نشر هذا الكتاب الجديد فى موسكو سنة ١٩٧٩ . وحالياً أقوم بنقـله إلى اللغة العربية ومراجعته والتعليق عليه توطئة لنشره فى القاهرة .

( الناشر )

## ٢ — نص البحث

تعتبر سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر حداً فاصلا فى تاريخ الاقتسام الاستعمارى لأفريقيا ، فحتى سنة ١٨٧٦ كانت الدول الأوربية تحكم ١١ ٪ فقط من مساحة هذه القارة ، ثم عند بدء الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ كانت أفريقيا كلها تقريباً قد خضعت لهذه الدول . ولقد كانت مصر من أول ضحايا هذا التوسع الاستعمارى ، فرغم أنها كانت حتى هذا التاريخ الأخير رسمياً جزءاً من الدولة العثمانية ، فإنها فى الحقيقة والواقع صارت منذ سنة ١٨٨٢ مستعمرة بريطانية .

وتطلق تسمية « الأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ — سنة ١٨٨٢ » على فترة تحضير بريطانيا للتدخل العسكرى المسلح فى مصر وتنفيذها له . وتتصف هذه الأزمة بخصائص اقتسام بلدان العالم فى زمن التحول من الاحتكار الرأسمالى إلى الاستعمار ، وهو الزمن الذى سبق تاريخياً الحروب الاستعمارية التى استهدفت هذا الاقتسام . ولهذا فإنه بالرغم من حدة الصراع بين الدول الاستعمارية على الحصول على « مكان تحت الشمس » فإنه لم يؤد إلى نشوب الحروب بينهما ، إذ كانت المنازعات تسوى إما بحل وسط ( يتم طبعاً على حساب الشعوب

التى تعرضت للهجمات الاستعمارية ، وإما بإذعان الطرف الأضعف للطرف الأقوى والأشد تصميما .

وعلى هذا النحو تطورت الأحداث فى مصر . فقد كانت منذ أمد طويل مسرحاً للتنافس بين اثنتين من دول أوربا الغربية هما بريطانيا وفرنسا ، اللتين أقامتا بها أى بمصر « الرقابة الثنائية » التى بدأت مالية ثم صارت سياسية . ولكن عندما قررت بريطانيا الانفراد بالسلطة فى مصر لم تلق مقاومة فعالة من فرنسا ويرجع ذلك إلى عدة أسباب يهمنا منها إثنان هما

أولاً — أنه فى سنة ١٨٨١ و ١٨٨٢ كان يواجه فرنسا خياران ، إما انتصار الحركة الوطنية الثورية المصرية وهى معادية للمصالح الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا معاً ، وإما خضوع مصر لبريطانيا ، فلم يكن غريباً أن تفضل الخيار الثانى الدوائر الحاكمة فى فرنسا وعلى رأسها تلك التى تمثل البنوك والشركات ، فإنها كانت تجنى أرباحاً هائلة من الديون المصرية — قدرت أنه حتى فى ظل الحكم البريطانى لمصر فإنه سيمكنها أن تشارك فى استغلالها .

وثانياً — أنه لم يكن فى مقدور فرنسا أن تدخل فى صراع مكشوف مع بريطانيا ، لأنها كانت مهددة من الشرق بخصيمة أقوى منها هى ألمانيا . ومن المعلوم أن حكومة بسمارك الألمانية كانت تشجع

التوسع البريطاني فى مصر ، لسعيها إلى إثارة الصراع بين بريطانيا وفرنسا أو إفساد العلاقات بينهما لمدة طويلة على أقل تقدير . وكانت النمسا والمجر تؤيد ألمانيا فى سياستها هذه ، ثم أيدتها فيها إيطاليا حليفتهما الجديدة التى انضمت إلى كتلتيهما فى شهر مايو سنة ١٨٨٢ إثر استيلاء فرنسا على تونس* .

أما روسيا فقد كان لها موقف خاص من المسألة المصرية ، فبالرغم من أنها كانت فى العهد القيصرى دولة استعمارية مثل الدول الرأسمالية بأوربا الغربية ، فإن سياستها فى خصوص هذه المسألة كانت تختلف عن سياسات هذه الدول فى خصوصها . فلئن لم تكن لروسيا فى مصر مصالح تهددها حركتها الوطنية الثورية ، إلا أنه لم يكن من صالحها أن تسيطر بريطانيا على مصر إذ كانت بريطانيا عندئذ هى المنافسة الرئيسية والفعلية لروسيا فى الشرقين الأدنى والأوسط وتوترت جداً العلاقات بينهما إبان أزمة المسألة الشرقية فى سنة ١٨٧٧ سنة ١٨٧٨** . ولهذا كان طبيعياً أن لا تحبذ روسيا تقوية بريطانيا

---

* استولت فرنسا على تونس بموجب معاهدة الحماية التى عقدتها معها فى يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨١ ، وتم انضمام إيطاليا إلى هذا الحلف فى سنة ١٨٨٢ ( الناشر )

** أدت هذه الأزمة إلى نشوب الحرب بين روسيا والدولة العثمانية ( تركيا ) التى كانت بريطانيا تسعى لبقائها ، ولهذا هددت بريطانيا روسيا بالتدخل فى هذه الحرب ضدها إلى جانب الدولة العثمانية لإنقاذها من الانهيار التام ، وقد انتهت هذه الحرب بحل وسط وضحته معاهدة برلين الدولية المبرمة

لمركزها فى شرق البحر المتوسط وتحكمها فى قناة السويس وهى شريان المواصلات بين أوربا وآسيا وذات الأهمية الكبرى اقتصادياً واستراتيجياً* .

إن هذه العوامل المتناقضة دفعت روسيا إلى الدخول طرفاً فى الأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ — ١٨٨٢ إذ لم يكن فى وسعها أن تظل بعيدة عنها ، ولقد حاولت فعلاً مقاومة المخططات البريطانية أثناء هذه الأزمة . وهذا الجانب منها الذى يمثل صراع السياسة الروسية ضد إقامة الحكم البريطانى فى مصر هو موضوع هذا البحث وهو يعتمد على معلومات مستقاة من محفوظات ( وثائق ) وزارة الخارجية الروسية ومحفوظات ( وثائق ) روسية أخرى

نذكر بالحقائق المعلومة عن هذه الأزمة المصرية : أدت المظاهرة التى جرت فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ** بالقاهرة وقادها الأميرالاى

---

فى يوم ١٣ يولية سنة ١٨٧٨ ، ولكنه لم ينه التنافس بين روسيا وبريطانيا فقد بقى حتى تسويته فى سنة ١٩٠٧ ( الناشر )

* كانت روسيا تستخدم قناة السويس ( التى افتتحت فى سنة ١٨٦٩ ) فى الوصول بحراً من بحر البلطيق و البحر الأسود إلى أملاكها بالشرق الأقصى ( الناشر )

** يعتبر يوم أول فبراير سنة ١٨٨١ الذى جرت فيه مظاهرة عابدين الأولى هو التاريخ المصطلح والمتفق عليه لبدء الثورة العرابية وأما يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ المشار إليه بالنص فقد جرت فيه مظاهرة عابدين الثانية ( الناشر )

**أحمد عرابى بك** (١) زعيم الحركة الوطنية الثورية المصرية المعروف أدت إلى سقوط وزارة **مصطفى رياض باشا** التى كانت خاضعة تماماً للدولتين الغربيتين ( بريطانيا وفرنسا ) وشكلت وزارة جديدة برئاسة **محمد شريف باشا** ، من زعماء الجناح اليمينى للحركة الوطنية المصرية وكان يسيطر على هذه الوزارة وعلى مجلس النواب ( الذى انتخب فى شهر ديسمبر سنة ١٨٨١) ممثلو كبار الملاك والتجار الذين يميلون إلى التفاهم مع رأس المال الأجنبى ، ورغم ذلك فإنه تحت ضغط تصاعد الحركة الوطنية شعبيا أقر مجلس النواب حقه الدستورى فى اعتماد الميزانية الأمر الذى حد كثيراً من الرقابة الأجنبية عليها .

وفى أوائل شهر فبراير سنة ١٨٨٢ استقالت وزارة **شريف باشا** وخلفتها وزارة **محمود سامى البارودى باشا** التى شغل فيها **أحمد عرابى بك** وزارة الحربية ، فانتقلت السلطة إلى الجناح اليسارى للحركة الوطنية المصرية الذى كان يتكون من الضباط الديمقراطيين ومن المثقفين ، بعد أن أدى إقرار الدستور فى يوم ٧ فبراير سنة ١٨٨٢ إلى الإطاحة فعلا بالرقابة الأجنبية ( البريطانية والفرنسية ) . وتزايد الصراع بين عامة المؤيدين **لعرابى باشا** وبين كبار الملاك المؤيدين من الخديوى **توفيق باشا** وأنصاره الذين تجمعوا حوله ومن ورائهم الدولتان الغربيتان ( بريطانيا وفرنسا ) إذ هالهم انتشار الحركة الوطنية وانتفاضات الفلاحين ضدهم وضد السيطرة الأجنبية .

فماذا كان موقف ممثل روسيا الرسمي في مصر قنصلها العام لكس من الأحداث المصرية في أواخر سنة ١٨٨١ وفي أوائل سنة ١٨٨٢ ؟ — يلاحظ أولا أن سياسة روسيا القيصرية كانت حينئذ هي سياسة دولة استعمارية تسيطر عليها طبقتا كبار الملاك والبرجوازية فلا يمكنها أن تتعاطف مع ثورة مصر الوطنية وأن لكس كان يمثل تماماً هذه السياسة . إلا أن عدم وجود مصالح توسعية لروسيا في مصر قد مكن لكس أن يقدر الوضع خير مما قدره به ممثلا بريطانيا وفرنسا فيها .

فمثلا كان لكس يكره الزعماء الوطنيين المصريين لأنهم كانوا في نظره وهو دبلوماسي روسي قيصري « عصاة » يقاومون السلطة والملكية الشرعية ، ولكن هذا لم يمنعه من إدراك أن الوطنيين * كانوا يتمتعون بتأييد عامة الشعب المصري . فقد كتب في تقرير له في سنة ١٨٨١ ( أفكار العرب — أي المصريين — هائجة وهم يتجمعون حول عرابي باشا الذي يعتبرونه زعيمهم في مطالبتهم بالدستور وبكل حرياتهم ، ويعلقون عليه جميع آمالهم في التخلص من الوصاية الأجنبية ) (٢) ، وفي ذات التقرير يعترف بأن وزارة **البارودي باشا وعرابي باشا** تحظى بالشعبية ، ويضيف أنه ( لو بقيت بريطانيا

---

* يطلق تعبير الوطنيين على مؤيدي عرابي باشا ومنه اشتق اسم حزبه وهو الحزب الوطني ( القديم ) [ المؤلف ]

وفرنسا ساكنتين لبقيت هذه الوزارة، وسيكون ذلك طبقا لجميع الاحتمالات في مصلحة مصر) (٣)

وحتى في ذلك الحين أدرك لكس أن الدولتين الغربيتين (بريطانيا وفرنسا) وخاصة بريطانيا لن تقفا غير عابئتين بالتغيير الجاري في مصر. ففي شهر ديسمبر سنة ١٨٨١ علق على رسالة وزير الخارجية البريطانية لورد جرانفيل المؤرخة في يوم ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ (٤)، التي أعلن فيها (أن سياسة بريطانيا ليس لديها نية الاعتداء على حرية مصر) — علق عليها بما يلي (يقول العرب — أي المصريون — لو أنه لم يكن حقاً لبريطانيا أطماع في مصر، لما كانت في حاجة للإعلان عن حسن نيتها) (٥)

وفي تقرير آخر يتحدث لكس عن تشكيل الوزارة الوطنية المصرية الجديدة مشيراً إلى عدم رضا الدولتين الغربيتين (بريطانيا وفرنسا) (٦) عنها، لخشيتهما من إلغاء أو على الأقل إضعاف الرقابة الثنائية ويقول (إن البريطانيين والفرنسيين يتحدثون فعلا عن احتلال مصر) (٧).

---

* هذه الرسالة أرسلها وزير خارجيه بريطانيا هذا إلى قنصلها العام بمصر ماليت بناء على اقتراح هذا الأخير ذاته لإبلاغها إلى الحكومة المصرية، راجع كتاب مصر سنة ١٨٧٩ — ١٨٨٣ تأليف مالت نفسه طبع لندن، باللغة الإنجليزية في سنة ١٩٠٩، وفي الصفحات ١٨٧ — ١٩٤ من هذا الكتاب نصاها المقترح والمرسل فعلا (الناشر)

ويدل سير الأحداث أن التهديد بالتدخل البريطانى أو البريطانى الفرنسى فى مصر أخذ يقترب فعلا ويتحول إلى واقع . ففى شهر مايو سنة ١٨٨٢ أرسلت بريطانيا وفرنسا اسطولين إلى الاسكندرية وفى خلال أيام من وصولها أى فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ قدمتا إنذارهما النهائى المشترك* (٨) إلى وزارة البارودى باشا وعرابى باشا وفيه طلبتا استقالتها ، فاضطرت إلى الاستقالة . ولكن هاتين الدولتين لم تستطيعا تحقيق مطلب آخر لهما ألا وهو نفى عرابى باشا من مصر وإبعاد كبيرى معاونيه ( على فهمى باشا ، وعبد العال حلمى باشا) إلى بلديهما ، بل أن غضب العناصر الوطنية فى الجيش والشعب من هذا التدخل الأجنبى ، وتهديد هذه العناصر للخديوى توفيق باشا ، أجبره رغم خضوعه للبريطانيين على إعادة عرابى باشا وحده إلى وزارة الحربية دون إعادة الوزارة المستقيلة وظلت مصر ثلاثة أسابيع بدون وزارة .

وأخذت السياسة البريطانية تحاول أن تستغل هذا الوضع فى مصر لتفاقم الأزمة بها ولتجد مسوغاً لتدخلها العسكرى المسلح فيها فأوقعت الخلاف بين كبار الملاك الذين يتزعمهم الخديوى توفيق باشا والدستوريين مؤيديه** ، وبين الوطنيين ، وعمقت الصراع بين

* قدم هذا الإنذار للحكومة المصرية القنصلان العامان لبريطانيا وفرنسا فى مصر وهما ماليت وسنكفكس ( الناشر )

** كان على رأس هؤلاء محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب (الناشر)

المصريين وبين الأوربيين المقيمين فى مصر . ولم تفت **لكس** ملاحظة هذه التحريضات فقد أبلغ حكومته حتى قبل تقديم الإنذار النهائى البريطانى الفرنسى المشترك فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ أن ( القنصل البريطانى العام السيد **أدوارد ماليت** منشغل فى دسائس سرية لخلق أكبر درجة من الفوضى فى مصر لاعتقاده أن ذلك سيكون فى مصلحة حكومته ) (٩) و (١٠) .

وبعدئذ وعند روايته عن مذبحة الاسكندرية التى حصلت فى يوم ١١ يولية سنة ١٨٨٢ بين المصريين والأوربيين كتب **لكس** لحكومته أن ( كثيرين فى مصر وضمنهم **عرابى باشا** نفسه يدعون أن الصدام وقع بناء على تدبير من البريطانيين ، بل وأنفقت لو قوعه أموالا بريطانية ، فمن الواضح أنهم كانوا يأملون أن تتخذ المذبحة شكلا خطيراً يؤدى إلى ضرب أسطولهم للاسكندرية ونزول قواتهم بها . ولكن قوات **عرابى باشا** حالت دون ذلك بتفريقها جموع المتجمهرين . والآن فإن الأميرال البريطانى **سيمور** لايستطيع النوم هادئا ، ويحلم فقط بتدمير الاسكندرية والاستيلاء عليها بقواته مدعمة بمدد من القوات البريطانية يأتى من مالطة ) .(١١)

وأبلغ **باشكوف** القاضى الروسى بمحكمة القاهرة الابتدائية المختلطة حكومته عن هذا التهديد الذى كانت مصر تتعرض له بقوله ( ينبغى تجنب احتلال قوات أجنبية لمصر ، لأن هذا يعنى

خرابها وإراقة الدماء ويعلم الله وحده كيف سينتهى الأمر . أنه من الواضح أن بريطانيا ليست ضد هذه النتيجة ولكنها لاتناسبنا )(١٢ )

( إنها لاتناسبنا ) هذا رأى موظف روسى قيصرى مقيم فى مصر فماذا كانت وجهة نظر الحكومة الروسية القيصرية ذاتها ؟ منذ شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ طلب لكس من وزير الخارجية الروسية جيرز التعليمات اللازمة لمعالجة الموقف السياسى المتغير فى مصر (١٣ ) فأبلغه جيرز بهذه التعليمات بكتابه إليه المؤرخ فى يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨١ ومضمونها أن مصلحة روسيا هى ألا تقع مصر فى يدى أحد الدولتين الغربيتين ( بريطانيا وفرنسا) وأن يتجنب خطر سيطرتهما وحدهما على قناة السويس ذات الأهمية البالغة لروسيا لكونها طريقها البحرى إلى الشرق الأقصى ، ولهذا فإن الحكومة الروسية ترغب فى إبقاء الحالة على ماهى عليه أى إبقاء السيادة التركية العثمانية على مصر لاعتقاد جيرز أنها تحميها من الأطماع الأجنبية . (١٤ )

وكانت الوسيلة الأساسية التى اعتمدت عليها روسيا فى منع التدخل البريطانى الفرنسى فى مصر هى العمل المشترك للدول المحايدة أى تحالف الأباطرة الثلاث ( لروسيا وألمانيا والنمسا المجر) * ،واتفقت

---

* هذا التحالف عقد فى يوم ١٨ يونية سنة ١٨٨١ لمدة ثلاث سنوات ثم جدد لمدة ثلاث سنوات أخرى فى سنة ١٨٨٤ ثم لمدة خمس سنوات فى سنة ١٨٨٧ . ( الناشر )

روسيا مع ألمانيا والنمسا المجر على أنه فى حالة زيادة خطر التدخل فى مصر فعلى دول هذا التحالف أن توحى السلطان العثمانى بالالتجاء إلى الدول الكبرى مجتمعة ( أى للوفاق الأوربى ) للمحافظة على السيادة العثمانية على مصر (١٥ ) ، لأن هذا سيضمن للدول المحايدة أساساً للتدخل الفعلى . وعليه كتب جيرز إلى لكس فى شهر ديسمبر ١٨٨١ ( عليك فى الوقت الحاضر أن تتخذ موقف المراقب اليقظ ، وأن تتحفظ ولاتأخذ زمام المبادرة، ولكن يجب ألا يأخذ موقفك المتحفظ مظهر عدم المبالاة وعدم الاهتمام بالشئون المصرية ) (١٦ )

وقد استمرت روسيا ملتزمة هذا الموقف إذ أكده جيرز للكس فى برقية خاصة مؤرخة فى يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨٢ قال فيها ( نحن نرغب فى بقاء الحالة فى مصر كما هى عليه بقدر ما يمكن ذلك، و منع التدخل سواء التركى العثمانى (١٧ ) أو البريطانى و الفرنسى ولكن مع الحفاظ على الوفاق الأوربى العام وخاصة مع ألمانيا والنمسا المجر . ويجب أن تشرك فى تصرفاتك زميليك الألمانى والنمسوى (١٨)

ولكن هذه البرقية حوت أمراً جديداً إذا ما قورنت بالتعليمات السابقة المعطاة فى ديسمبر سنة ١٨٨١ . فبعد أن كانت تلك التعليمات تتطلب من لكس اتخاذ موقف المراقب اليقظ فحسب ، صار متوقعاً منه أن يتصرف وإن كان قد ألزم فى تصرفه بأن يكون متمشياً مع تصرف ممثلى ألمانيا والنمسا المجر .

ويجب التسليم بأن هذا الإلزام كان مقيداً جداً له ( أى للكس ) لأن ألمانيا ( ومن ورائها النمسا المجر ) التى كانت روسيا تعتمد على مساندتها لم تكن تنوى معارضة خطط بريطانيا — فقد كانت الموافقة الرسمية لألمانيا على التصرف المشترك مع روسيا هى مجرد مناورة تهدف منها ألمانيا ( حكومة بسمارك ) المحافظة على المظهر الحسن لعلاقاتها مع روسيا ثم الظهور أمام الدولة العثمانية ( تركيا ) التى كانت ( أى ألمانيا ) تسعى إلى كسب النفوذ فيها — بمظهر الحامية لمصالحها. وقد أدى هذا الموقف المزدوج لألمانيا وهو التأييد الفعلى لبريطانيا والتعاون الرسمى الظاهرى مع روسيا ضد بريطانيا — أدى هذا الموقف إلى تقييد سياسة روسيا واضطرارها إلى تنسيقها مع سياسة ألمانيا .

وفى الواقع فإن الدول المحايدة لم تشترك معاً فى العمل والتصرف إلا مرة واحدة إثر مذبحة الاسكندرية التى وقعت فى يوم ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ ، عندما أدت السياسة الاستفزازية لبريطانيا بألمانيا والنمسا المجر إلى أن تغيرا مؤقتاً لوسائلهما . فقبل ذلك كان قنصلاهما العامان — حسب تعبير روتشتين — يسمحان لماليت قنصل بريطانيا العام ( بأن يفعل ما يشاء تماماً (١٩ ) ولكنهما الآن ( أى بعد هذه المذبحة ) عادا وقلقا على رعاياهما فى مصر فكان ذلك سبباً لعملهما المشترك الذى أقدما عليه مع لكس .

ولكن ماذا كان هذا العمل المشترك ؟ كان قيام القناصل العامين لهذه الدول الثلاث ( روسيا وألمانيا والنمسا المجر ) مع القنصل العام لإيطاليا ومع درويش باشا المندوب العثمانى * — قيامهم بالتوسط لدى الخديوى توفيق باشا وبينه وبين الوطنيين لتشكيل وزارة مصرية جديدة (٢٠) ، لاعتقادهم أن تصفية الأزمة الوزارية التى بدأت فى شهر مايو سنة ١٨٨٢ ( بسبب الإنذار النهائى البريطانى الفرنسى المشترك ) ستخفف التوتر فى مصر وتمنع تكرار مثل مذبحة الاسكندرية المشار إليها . وقد كانت ألمانيا وحليفتاها تهتم فى المقام الأول بحياة رعاياها فى مصر (٢١ ) ، وكانت روسيا أيضاً تهتم بسلامة الأوربيين بمصر » ولكنها كانت تولى الأولوية لهدف آخر هو إزالة كل حجة للتدخل الأجنبى فى مصر يؤدى إلى تغيير الوضع القائم بها أى إلى الاستيلاء عليها . فى رسالة إلى ملنكوف أوضح لكس أن تشكيل هذه الحكومة الجديدة نتيجة لتدخل الدول المحايدة ( يضمن بقاء الوضع القائم فى مصر طبقاً لرغبة جيرز (٢٢) و (٢٣ ) .

---

* درويش باشا هو رئيس البعثة التركية العثمانية التى أوفدها السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى ( سنة ١٨٨٧ — ١٩٠٩ ) إلى مصر وأتت إليها فى يوم ٧ يونية سنة ١٨٨٢ بناء على طلب الخديوى توفيق باشا ولقد لقب المصريون درويش باشا ، بقشيش باشا ، لقبوله رشوة من الخديوى توفيق باشا . ( الناشر )

** هى وزارة راغب باشا . ( الناشر )

غير أن هذا التفاؤل لم يكن سائداً فى سان بطرس بورج عاصمة روسيا — فعلى هامش برقية لكس عن تأليف وزارة راغب باشا (فى يوم ٢٠ يونية سنة ١٨٨٢) ، وأمام ما ذكره فيها ( نتمنى لها النجاح التام إذا لم تدس لها الدولتان الغربيتان — أى بريطانيا وفرنسا — الدسائس ) كتب معلقاً القيصر اسكندر الثالث* (ستفعلان ذلك بكل تأكيد) (٢٤ ) . كما أدرك لكس نفسه بعدئذ أن خطر التدخل الأجنبى فى مصر )لم يتناقص ، فقد كتب إلى وزارة الخارجية الروسية فى أوائل شهر يولية سنة ١٨٨٢ يقول (إن بريطانيا والخديوى توفيق باشا لايرغبان فقط فى الحد من نفوذ الوطنيين فى مصر ) بل ( إنهما يحاولان خلق الظروف التى تجعل احتفاظ عرابى باشا بالسلطة غير ممكن ) ، وخلص إلى نتيجة مؤداها أنه ( لاحل للموقف الصعب الحالى إلا بمساعدة الدول الكبرى ) (٢٥ )

وعلقت السياسة الروسية أملها فى التدخل المشترك للدول المحايدة (فى مصر ) على مؤتمر القسطنطينية الدولى** الذى افتتح بها فى يوم ٢٣ يونية ١٨٨٢ لبحث المسألة المصرية . فبعد افتتاحه

---

* اسكندر الثالث هو قيصر روسيا قبل الأخير ، وقد حكمها فى المدة من سنة ١٨٨١ حتى سنة ١٨٩٤ ( الناشر )

** عن هذا المؤتمر راجع كتاب مؤتمر القسطنطينية والقضية المصرية لسنة ١٨٨٢ للمؤرخ المصرى الأستاذ سيد كامل باللغة الفرنسية ، طبعة باريس سنة ١٩١٣ ( الناشر )

وفى يوم ٣٠ يونية سنة ١٨٨٢ ( ٢٦ ) مجهت وزارة الخارجية ( الروسية ) إلى الدول المشتركة فيه ( وهى كل الدول الكبرى أى بريطانيا وفرنساوألمانياوالنمسا المجروايطاليا بالإضافة لروسيا ذاتها ) مذكرة أوضحت فيها برنامجها لتسوية المسألة المصرية ( ٢٧ ) مستنداً للمبادئ الأساسية التالية وهى

أولاً — تسوية المسألة المصرية يجب أن تمارسها كل دول الوفاق الأوربى لادولة واحدة منها ؛

وثانياً — واجب المؤتمر هو إعادة الحالة إلى ماكانت عليه فى مصر وتدعيمها إن أمكن ؛

وثالثاً — من الأفضل أن يكون الضغط الأدبى ( المعنوى ) كافيا لتحقيق هذا الغرض .

ورابعاً — إذا تبين أن الضغط الأدبى ( المعنوى ) غير كاف فإن اتخاذ الإجراءات اللازمة يكون من حق دول الوفاق الأوربى مجتمعة ؛

واعتبرت السياسة الروسية أن التدخل العسكرى المسلح الأجنبى فى مصر هو آخر هذه الإجراءات وفضلت فى حالة ضرورته إرسال قوات تركية عثمانية لا بريطانية وفرنسية إلى مصر إذا رفض السلطان العثمانى إرسال قواته المسلحة إليها . وفى هذه الحالة الأخيرة قيدت تدخل بريطانيا وفرنسا أو إحداهما بشروط تجرده من مغزاه .

فقد كانت هذه الشروط تتضمن أن يكون إرسال الدولتين الغربيتين ( بريطانيا وفرنسا ) قواتهما المسلحة إلى مصر منوطاً ( باتفاقهما مع الدول الأخرى ) ، ( وطبقاً لبرنامج محدد واضح يكون الهدف النهائى منه ( إعادة الحالة إلى ماكانت عليه ) ، بل واستدركت وزارة الخارجية الروسية فى مذكرتها المحتوية هذه الشروط ( إن هذه الحالة لها بعض الجوانب غير المناسبة ) ولهذا اقترحت إجراء تغيير فيها ( باستبدال رقابة دولية بالرقابة الثنائية البريطانية الفرنسية على ألا تتدخل فى الإدارة المصرية ) ، كما صرحت فى هذه المذكرة بأن ( الأحداث قد أظهرت عدم مناسبة الرقابة الثنائية البريطانية الفرنسية ، ولهذا فمن المشكوك فيه مناسبة إعادتها )

وبذلك عبرت روسيا عن موقفها وهو ليس فقط إعادة الحالة فى مصر إلى ماكانت عليه ، بل إلغاء الرقابة الثنائية ( البريطانية الفرنسية ) أيضاً ولم توافق على تدخل الدولتين الغربيتين ( بريطانيا وفرنسا ) فى مصر إلا بهذه الشروط .

ولكن هذه الخطة الماهرة حقاً للسياسة الروسية ، لم تلق تأييداً من الدول المشتركة فى مؤتمر القسطنطينية الدولى ، فقد بذلت بريطانيا كل مافى وسعها لإحباط هذا المؤتمر وتلقت فى ذلك مساندة لايستهان بها من ألمانيا وحليفتها ( النمسا المجر وإيطاليا ) وحتى من فرنسا — التى كان متوقعاً أن تكبح جماحها — فإنها فى الواقع لم تقاوم خططها

العدوانية . ولهذا فقد اقتصر ما أنجزه هذا المؤتمر على إبرام (ميثاق النزاهة) (٢٨) في يوم ٢٥ يونية سنة ١٨٨٢ . وبموجب هذا الميثاق تعهدت الدول الكبرى الموقعة عليه (بعدم السعي إلى احتلال أي جزء من مصر أو إلى أي امتياز خاص بها في مصر) أما البروتوكول الذي أبرمته هذه الدول وهي المشتركة في هذا المؤتمر في يوم ٢٧ يونية سنة ١٨٨٢ وحرم عليها أثناء انعقاده التدخل المنفرد في مصر (٢٩) فإنه قد اضيفت إلى نصه بناء على اقتراح من اللورد دوفرين ممثل بريطانيا نجح في اعتماده عبارة «إلا للضرورة القصوى» فجردته هذه العبارة المضافة من فحواه، إذ صارت هذه الدول غير ملتزمة بما قرره في حالة الضرورة القصوى . وقد تميز موقف فرنسا بأن ممثلها دى نواى قد أيد هذا الاقتراح البريطاني وهو ما يدل على أن التنكيل بالحركة الوطنية المصرية قد فاق لديها — أي لدى فرنسا — كل اعتبار آخر * .

ثم انتقل المؤتمر إلى مناقشة إرسال القوات المسلحة التركية العثمانية

---

* قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في كتابه المعروف (الثورة العرابية والاحتلال البريطاني المصري) الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٣٧ ، الصفحة ٢٣٩ (من الغريب حصول هذا التأييد — من فرنسا — وأنه يدل على مدى تخبط السياسة الفرنسية في ذلك الحين) وأعتقد أن رأي الأستاذ جورجي نرسيسوف مؤلف البحث الحالي هو الأرجح لما بني عليه من تفسير هذا التأييد . (الناشر)

إلى مصر . ولما كان هذا الأمر لايتماشى مع خطط بريطانيا فإنها عطلت بكل الطرق اتخاذ قرار بشأنه .

وفى هذه الأثناء كانت الحكومة البريطانية تعد العدة لضربتها القاضية ضد مصر التى وجهتها إليها فى يوم ١١ يولية سنة ١٨٨٢ حينما أمر الأميرال سيمور قائد أسطولها بمياه الاسكندرية بضربها بناء على تعليماتها — أى هذه الحكومة — طبعاً (٣٠ ). وكانت حجته ( للتحرش بالمصريين وخلق حالة الضرورة التى تبرر التدخل العسكرى المسلح فى مصر) * هى اتهامهم بتقوية تحصينات الاسكندرية لكى يضربوا الأسطول البريطانى الراسى بمياهها . وهو اتهام ظاهر السخافة ، لأنه لم يكن هذا الأسطول وحده راسياً أمامها بل كان يرسو أمامها أيضاً الأسطول الفرنسى وسفن حربية وتجارية لدول أخرى . (٣١) فكان واضحاً أن تهديد هذه التحصينات للأسطول البريطانى هو محض خيال لتدبير التدخل العسكرى المسلح المذكور (٣٢)

وقد أخطر لكس رسمياً بتدبير هذا الاعتداء البريطانى يوم ٥ يولية سنة ١٨٨٢ حينما أخبره كارترايت القائم بأعمال القنصلية البريطانية العامة فى مساء ذلك اليوم بأنه ( من المحتمل جداً أن يضطر الأميرال

---

* إضافة من كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى سابق الذكر من الصفحة ٣٢٣ لزيادة الفكرة إيضاحاً ( الناشر )

سيمور لضرب الاسكندرية ولكنه لم يتخذ بعد قراره النهائى) (٣٣) فأرسل لكس فى اليوم التالى (٦ يولية سنة ١٨٨٢) برقية إلى سان بطرس بورج يعبر فيها عن قلقه بقوله (بالرغم من الهدوء النسبي السائد فى البلاد فإن الأميرال سيمور يبحث عن حجة لضرب الاسكندرية . ومن اللازم وقفه حتى يمكن تجنب مذبحة للمسيحيين) (٣٤)

وفى يوم ٧ يولية سنة ١٨٨٢ اشترك لكس فى اجتماع القناصل الأجانب فى مصر الممثلين للدول التى شاركت فى مؤتمر القسطنطينية الدولى ، وقد اتخذوا قراراً أبلغوه إلى الأميرال سيمور طلبوا فيه الإمتناع عن ضرب الاسكندرية لما ينطوى عليه ذلك من تهديد لحياة وأملاك الأوربيين (٣٥) ، فلم يعبأ بطلبهم بعد أن أثبتت التجربة أن فرنسا * ودول التحالف الثلاثى لن تفعل شيئاً ، وبعد أن امتنع قنصل بريطانيا عن حضور هذا الاجتماع .

وفى يوم ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ضرب الأميرال سيمور الاسكندرية ضرباً شديداً بالقنابل ، استمر لليوم التالى ثم غادرت قوات عرابى باشا وعدد كبير من الأهالى الاسكندرية التى شبت

---

* قررت فرنسا سحب أسطولها من المياه المصرية وعدم مشاركته للأسطول البريطانى فى ضرب الاسكندرية ، وقد إنسحب فعلا فى ليلة ١٠ يولية سنة ١٨٨٢ ( الناشر )

بها الحرائق ، وفى يوم ١٤ يولية سنة ١٨٨٢ نزلت إليها القوات البحرية البريطانية فبدأ الاحتلال البريطانى لمصر .

ووصف ضرب الاسكندرية القبطان لومن قائد القلبر الحربى الروسى « زابياكا »* الذى كان يمخر البحر أمام الاسكندرية ) قائلا إن ( البريطانيين تمكنوا من تدمير القلاع بسرعة نسبية بسبب تفوقهم الكبير فى المدفعية (٣٦ ) وعدم صلاحية القلاع ذاتها لقدمها وعدم كفاية تدريب الضباط المصريين وضعف تدريب صف ضباطهم وجنودهم ) (٣٧ ) ، ولكنه فى ذات الوقت سجل شجاعتهم جميعاً قائلا ( إن البريطانيين أنفسهم لايمارون فى ذلك ) ، وأضاف أن الضبط المصريين وعرابى باشا شخصياً ظلوا ملازمين لمدافعهم خلال المعركة فشجعوا جنودهم ) (٣٨ ) .

ويجدر بالذكر أنه قبيل ضرب الاسكندرية انسحبت منها السفن الأجنبية فيما عدا سفن الأسطول البريطانى ، وكان البحارة الروس يراقبون سير المعركة من السفينتين الحربيتين الروسيتين آسيا ، «وزابياكا» اللتين كانتا تمخران البحر على مقربة من ساحل الاسكندرية . وإثر انتهاء الضرب عادت السفن الأجنبية ( الأخرى ) إلى ميناء الاسكندرية ، فسلم الأميرال سيمور قباطنتها مذكرات طلب فيها

---

* القلبر هو سفينة شراعية سريعة ، وزابياكا معناها باللغة الروسية العربيد » ( الناشر )

إليهم تشكيل قوة بوليس دولية عامة مشتركة لإعادة النظام إلى مدينة الاسكندرية ، وكان غرضه إضفاء الصفة الدولية على عملية القرصنة التي قارفها . وقد أرسل القبطان الروسى **أمازوف** قائد السفينه الحربيه الروسية آسيا إلى **شستاكوف** وزير الحربية الروسية برقية يطلب فيها تعليماته بشأن اشتراك بحارته فى هذه القوة.(٣٩)

وفى المناقشة التى جرت بخصوص هذه المسألة بين جيرز ، و**شستاكوف** اقترح الأخير رفض طلب البريطانيين هذا حتى لا يبدو الروس فى تصرفاتهم ملازمين وتابعين لهم (٤٠) ، رتردد جيرز وترك الأمر لتصرف القيصر ( **اسكندر الثــالث** ) (٤١ ) ذاته ، فأقر رأى **شستاكوف** (٤٢) ؛ ولهذا أرسلت التعليمات المطلوبة إلى **أمازوف** برفض الاشتراك فى القوة البوليسية الدولية العامة المشتركة ،(٤٣) . فانحصر نشاط البحارة الروس فى النزول إلى البر بالاسكندرية لفترة وجيزة لإخماد الحرائق المشتعلة فى المنازل القريبة من القنصلية الروسية ثم عادوا إلى سفينتيهم الحربيتين ، وإلتزم

---

* جاء فى كتاب مصر للمصريين ( المؤلف عن الثورة العرابية للأستاذ سليم خليل نقاش والمطبوع بالإسكندرية فى سنة ١٨٨٤ ) بالجزء الخامس بالصفحة ٨٠ ، أنه نزل إلى البر بالاسكندرية ثلاثون فقط من االبحارة الروس وانطلقوا إلى قنصليتهم فوجدوها سالمة ، فعاونوا فى إطفاء الحرائق بالمنازل المجاورة لها ثم عادوا الى حيث أتوا فى مساء يوم ١٧ يولية سنة ١٨٨٢ ، كما كان هذا شأن البحارة الأمريكان واليونان ، وذلك بناء على طلب الأميرال سيمور ( الناشر )

قبطاناها الحياد الدقيق بعدم إشتراك بحارتهما فى إخماد باقى الحرائق فى مدينة الاسكندرية بعد أن احتلها البريطانيون . (٤٤)

وقد أكد الأميرال سيمور أن البريطانيين سيمكنهم وحدهم إطفاء هذه الحرائق بعد أن وصلت سفن حربية بريطانية جديدة (الاسكندرية) ، ومع ذلك ظلت هذه الحرائق مشتعلة حتى يوم ١٧ يولية سنة ١٨٨٢ حين خمدت من تلقاء نفسها (٤٥) ، ووصف لكس حالة الاسكندرية بعد ضربها بأنها خربت خراباً تاماً وبـ(احترق أحسن حى من هذه المدينة تماماً بكامله وصار كوماً من الحجارة) (٤٦) .

وإذا كان البريطانيون لم يفعلوا شيئاً تقريباً لإطفاء الحرائق بمدينة الاسكندرية، فإنهم بذلوا مجهوداً كبيراً فى «إعادة النظام» إليها ويتحدث سجل السفينة الحربية «زابياكا» عن ذلك بقوله (إنه لم يتم إلا بإطلاق الرصاص دون تمييز وبطريقة غير إنسانية بتاتاً (٤٧) وأبلغ لكس حكومته (إن القوات البريطانية فى مدينة الاسكندرية لاتلتزم النظام بدقة ، وأنها كثيراً ما تشاكس المارة بل وتسلبهم أموالهم) (٤٨) كما أن القوات البريطانية قد سارت على هذا المسلك أيضاً فى موانى قناة السويس (التى احتلتها بعدئذ) ، فقد كتب القبطان جور قائد السفينة الحربية الروسية «إركليك» (أى هرقل) الراسية بميناء بورسعيد (أن الأهالى يشكون هنا، كما فى الاسكندرية

من عربدة وشغب الجنود البريطانيين ليلا ، وأن شغبهم يصل حد إطلاق النار على المارة بدون تمييز ) (٤٩ ) .

وللأسف لاتحوى وثائق المحفوظات الروسية شيئاً تقريباً عن عمليات القوات المسلحة البريطانية فى داخل مصر ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن القيادة البريطانية لم تسمح للكولونيل سولوجوب ممثل أركان حرب القوات الروسية الذى أتى إلى مصر لمتابعة هذه العمليات الحربية — لم تسمح له بالاقتراب من مسرحها* (٥٠ )

ولنعد إلى السياسة الروسية ، فقد أدركت روسيا بعد ضرب البريطانيين الاسكندرية وشروعهم فى احتلال مصر الذى تلاه مباشرة ، أن التدخل الدولى المشترك طبقاً لمقررات مؤتمر القسطنطينية الدولى لايحول دون تنفيذ المخطط البريطانى — ولهذا أرسلت وزارة

* يبدو أن سبب هذا المنع راجع إلى موقف روسيا المعارض للعمليات الحربية البريطانية فى مصر . فقد سمحت القيادة البريطانية لممثلى أركان حرب القوات الألمانية والأمريكية بمتابعة هذه العمليات ( وقد كان موقف ألمانيا وأمريكا غير معارض لها ) . وبناء على ذلك سجل الضابط الألمانى فوخت مشاهداته فى كتابه ( الحرب المصرية لسنة ١٨٨٢ ) المطبوع باللغة الألمانية فى ليبزج فى سنة ١٨٨٢ ، وله ترجمة إنجليزية فى لندن فى سنة ١٨٨٣ . كما سجل الضابط البحرى الأمريكى جودريش مشاهداته فى كتابه ( تقرير عن العمليات البحرية والحربية فى مصر فى سنة ١٨٨٢ ) ، المطبوع باللغة الإنجليزية فى واشنطون بأمريكا فى سنة ١٨٨٥ . ( الناشر )

الخارجية الروسية فى يوم ٢٦ يولية سنة ١٨٨٢ تعليماتها إلى أونو القائم بالأعمال الروسى بالقسطنطينية بالانسحاب من هذا المؤتمر لانفراد بريطانيا بالتدخل فى مصر ، وتضمنت البرقية التى حوت هذه التعليمات تأكيد روسيا التمسك بسياسة عدم تغيير الوضع القائم بمصر إلا بموافقة الدول الكبرى (٥١)

وتنفيذاً لهذه التعليمات أبلغ أونو ممثلى الدول الأخرى فى هذا المؤتمر (أن سير الأعمال التى تمت خارجه وبعيداً عنه جعلت مناقشاته شكلية صورية ، وأن هذا ليس من شأنه أن يشجع حكومته التى تهمها هيبتها قبل كل شىء ،على تكليفه بالاستمرار فى الاشتراك فى مثل هذه المفاوضات العقيمة) (٥٢)

وكانت روسيا تأمل أن تقتدى بها فى الانسحاب من هذا المؤتمر دول أخرى، ولكنها كانت الدولة الوحيدة التى احتجت على التدخل البريطانى فى مصر ، وأما باقى دول الوفاق الأوربى فإنها اتخذت من بريطانيا موقفاً يتصف بالتساهل .

وقد وصف أونو موقف مندوبى الدول فى هذا المؤتمر من ضرب الاسكندرية بما يلى (قال ممثل فرنسا دى نواى إنه وإن كان لا يوافق على ضرب البريطانيين للاسكندرية إلا أنه يعتقد أنهم سيقفون عند حد تلقين المصريين هذا الدرس ، ولذلك فلا مبرر للقلق (٥٣)

وقال كورتى ممثل إيطاليا بفظاظة أنه يحبذ ضرب البريطانيين للاسكندرية لأن إيطاليا تمقت تصرف فرنسا فى شمال أفريقيا (٥٤) وكان هرشفلد ممثل ألمانيا يظهر عدم المبالاة تماماً لدرجة أنه قال له (أى لأونو) حتى قبل أن يعلم بهذا التدخل العسكرى المسلح البريطانى ليسوى كل أموره بما يراه مناسباً ، فإذا كان البريطانيون يرغبون فى ضرب الاسكندرية فما الذى نستطيع فعله) (٥٥)

ولما لم تلق روسيا تأييداً من الدول الأخرى وواجهت احتمال عزلتها السياسية ، لم تخاطر بالقطيعة مع الوفاق الأوربى ، فأبرق جيرز فى يوم أول أغسطس سنة ١٨٨٢ إلى أونو بأمر القيصر له بالعودة إلى مكانه بمؤتمر القسطنطينية الدولى(٥٦) وكان مبرر ذلك هو وجود احتمال ضئيل فى أن تؤثر روسيا فى تسوية المسألة المصرية ، وعلل جيرز هذه العودة فى برقية أخرى مرسلة (إلى أونو) فى ذات اليوم بتغير الظروف وأشار إلى تصريح لممثل بريطانيا فى هذا المؤتمر لورد دوفرين صدر فى يوم ٣٠ يولية سنة ١٨٨٢ وتضمن أن بريطانيا توافق على اشتراك جميع الدول فى تقرير المركز السياسى لمصر مستقبلاً . وطلب جيرز إلى أونو التمسك عند عودته للمؤتمر بهذا التصريح البريطانى وحث المؤتمر المذكور على إصدار تصريح مشترك يعلن (أن الحل النهائى للمسألة المصرية يجب أن يكون من اختصاص الوفاق الأوربى) (٥٧) ولم يلق بيان أونو للمؤتمر المذكور المتضمن

ماتقدم أية معارضة من ممثلى الدول الأخرى حتى من ممثل بريطانيا (٥٨) فقد صار معلوماً أن مصير مصر لن يتقرر فى المؤتمر ذاته .

وبعد أن طمأنت بريطانيا جميع الدول أنه ليس لديها خطط لاغتصاب وضم مصر، واصلت تدخلها العسكرى المسلح بها وتقدمها فى داخلها ، وأنجزت ذلك بكسبها معركة التل الكبير ( التى جرت فى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ) ، ثم احتلالها القاهرة فى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، وأقامت فى مصر حماية بريطانية مقنعة وغير معلنة

وجدير بالتسجيل أنه حتى بعد أن صار الاحتلال البريطانى لمصر أمراً واقعاً ، ظلت السياسة الروسية القيصرية تهتم بالمسألة المصرية ، إذ قررت مقاومة لكساب هذا الاحتلال الشرعية بعدم الاعتراف بضم بريطانيا لمصر فغلاو بتأييد حق الدولة العثمانية ( تركيا ) ، فى السيادة عليها (٥٩ ) . وكذلك قاومت روسيا انفراد بريطانيا بالتحكم فى قناة السويس ، إذ لعبت دوراً كبيراً فى إرغام بريطانيا على الاعتراف بحياد هذه القناة وحق مصر فى السيادة عليها بموجب معاهدة القسطنطينية المبرمة فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٢ ، ولكن هذا يخرج عن نطاق البحث الحالى .

وفى الختام أنقل ما كتبه قنصل روسيا العام فى مصر خترفو ( الذى خلف لكس فى سنة ١٨٨٣ ) فى تقريره عن تحليل الأزمة

المصرية لسنة ١٨٨١ سنة ١٨٨٢ ، من أن صراع مصر ضد بريطانيا وإن كان قد انتهى بالفشل إلا أنه أكسبها تجربة سيكون لها أثرها مستقبلاً (فلا يمكن لأحد أن ينكر أن أحداث السنة الماضية قد تركت أثراً عميقاً فى فكر الشعب المصرى وخاصة جنوده ، فإن هؤلاء العرب ( لمصريين ) الذين حاولوا القيام ضد السيطرة والاستغلال الأوربيين لم يعودوا أولئك الفلاحين والبدو الذين علموا أن يرتجفوا أمام هيبة الملابس الأوربية )(٦٠) . ومن المسلم به أن مصر ظلت خلال الحكم البريطانى لها تصارعه حتى انتهى الأمر بانتصارها واستقلالها استقلالا تاماً .

## ٣ — إضافة من الناشر

## عن معارضة روسيا لسياسة بريطانيا فى مصر بعد احتلالها لها

منذ احتلال بريطانيا لمصر فى سنة ١٨٨٢ وحتى سنة ١٩٠٧ ظلت روسيا تعارض السياسة البريطانية عموماً وضمنها سياستها فى مصر . وكان أبرز مظاهر لهذه المعارضة قضية صندوق الدين التى أقامها ممثلا روسيا وفرنسا فى مصر على الحكومة المصرية ( الخاضعة لبريطانيا ) فى سنة ١٨٩٦ أمام المحاكم المختلطة المصرية بطلب ردها إلى هذا الصندوق نصف مليون جنيه مصرى ، كان قد أقرضه لها لكى تنفقه فى حملة استرداد السودان . وانتهت هذه المعارضة المبنية على المنافسة بين بريطانيا وروسيا خاصة فى الدولة العثمانية وإيران وأفغانستان، بابرامها أى بريطانيا وروسيا اتفاقيتهما المؤرخة فى يوم ٣١ يولية سنة ١٩٠٧ .

وفى الحرب العالمية الأولى التى بدأت فى سنة ١٩١٤ كانت روسيا حليفة لبريطانيا ،ولهذا كانت روسيا أول الدول التى اعترفت بالحماية البريطانية التى أعلنت على مصر فى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وعلق قيصر روسيا الأخير نقولا الثانى ( سنة ١٨٩٤ — ١٩١٧ ) على الرسالة التى أبلغته خبر إعلان هذه الحماية بكتابته عليها « ممتاز »

وجدير بالذكر أن كتاب « مصر للمصريين » السابق الذكر للأستاذ خليل سليم نقاش قد حوى بعض مقتطفات مما نشر بصفحتي نوفى فرميا ونوفوستى أى العهد الجديد والأخبار الروسيتين فى شهر أغسطس سنة ١٨٨٢ إبان الثورة العرابية ، تؤكد معارضة روسيا لبريطانيا فى ذلك الوقت ( راجع الجزء الخامس بالصفحتين ١٦٥ و١٦٦ ) .

## ٤ – هوامش البحث

(١) أحمد عرابي باشا (سنة ١٨٣٩ – سنة ١٩١١) هو زعيم الثورة العرابية ثورة مصر الوطنية سنة ١٨٨١ – سنة ١٨٨٢

(٢) أرشيف سياسة روسيا الخارجية ملف ٨٢٠ ، الورقتان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، وأرسل هذا التقرير قنصل روسيا العام بمصر إلى رئيسه سفير روسيا بالقسطنطينية ( بالدولة العثمانية ) من القاهرة في يوم ٢ مارس سنة ١٨٨٢ ، وأرسل السفير نسخة منه إلى وزارة الخارجية الروسية في يوم ١٠ مارس سنة ١٨٨٢ – وفيما يلي سيطلق على هذا الأرشيف لفظ أرشيف فقط وعلى الوثيقة به ورقة .

(٣) المرجع السابق ، ورقة ٢٤٤ .

(٤) الكتاب الأزرق البريطاني عن مصر لسنة ١٨٨٢ و ١ – صفحة ٣١٠٥ .

(٥) أرشيف ، ملف ٨١٩ ، ورقة ٥٩ من لكس إلى جيرز من القاهرة في يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وكان جيرز قائماً بأعمال وزارة الخارجية الروسية ثم عين وزيراً لها : في أوائل شهر إبريل سنة ١٨٨٢ وبقي بها حتى وفاته في ١٨٩٥ وقبل ذلك عمل بوزارة الخارجية الروسية وقد كان قنصل روسيا العام بمصر (سنة ١٨٥٧ – سنة ١٨٥٨ (الناشر)

(٦) الكلمات الموضوعة بين القوسين للتوضيح .

(٧) أرشيف ، ملف ٨٢٠ ، ورقة ٢٢٦ من لكس إلى جيرز من القاهرة يوم ٦ فبراير سنة ١٩٨٢ .

(٨) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٨٧١ – سنة ١٩١٤

المجموعة الأولى الجزء الرابع ، المستندان ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، والكتاب الأزرق البريطانى عن مصر لسنة ١٨٨٢ رقم ٨ المستندان ٦٨ و ٧٦ + وراجع نص هذا الإنذار باللغة العربية فى كتاب الثورة العرابية والاحتلال البريطانى للأستاذ عبد الرحمن الرافعى طبعة أولى بالقاهرة سنة ١٩٣٧ بالصفحتين ٢٧٩ و ٢٨٠ ( الناشر )

(٩) أرشيف ملف ٨٢٠ ورقة ١٢٢ من لكس إلى ملنكوف نائب مدير قسم آسيا بوزارة الخارجية الروسية ، من القاهرة فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٨٨٢ . وفى رسالته إلى جرانفل المؤرخة فى يوم ٧ مايو سنة ١٨٨٢ ، يعترف ماليت صراحة بأن من مصلحة بريطانيا خلق الصعوبات فى مصر ، الكتاب الأزرق البريطانى عن مصر لسنة ١٨٨٢ و ٧ مستند ١٤٥ + راجع هذه الرسالة فى كتاب ماليت المشار إليه فى الصفحة ٣١٣ ( الناشر )

(١٠) على هامش ملخص تقرير لكس الذى أعدته وزارة الخارجية الروسية كتب القيصر اسكندر الثالث أمام هذه الكلمات معلقاً عليها ( محتمل جداً ) . أرشيف ٨٢٠ ورقة ٣٨٣ .

(١١) المرجع السابق . الورقتان ٩٦ و ٩٧ من لكس إلى ملنكوف من الاسكندرية ، من على ظهر السفينة الحربية الروسية آسيا فى يوم ٧ يوليو سنة ١٨٨٢

(١٢) المرجع السابق . ورقة ٦٣ من باشكوف إلى ملنكوف فى يوم ٦ يونية سنة ١٨٨٢ + وفى الكتاب ، الذهبى للمحاكم المختلطة المصرية ، المطبوع باللغة الفرنسية بالاسكندرية فى سنة ١٩٢٦ أن باشكوف كان ملحقاً بوزارة العدل الروسية ثم عين قاضيا بمحكمة القاهرة الابتدائية المختلطة فى يوم ٦ مارس سنة ١٨٨٢ ، واستقال فى يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٤ .
( الناشر )

(١٣) أرشيف ملف ٨١٩ ، ورقة ٥٥ من لكس إلى جيرز فى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٨٨١

(١٤) أرشيف ، مجموعة القنصلية الروسية العامة فى مصر ، مستند ١٢٣ ، ورقة ١٤ ، باللغة الفرنسية .

(١٥) أرشيف ، الملف السابق ، ورقة ١٥ .

(١٦) أرشيف ، الملف السابق ، ورقة ١٧ .

(١٧) فى ذلك الوقت كانت الدوائر الدبلوماسية فى أوربا تناقش إرسال قوات عسكرية عثمانية إلى مصر ( لإعادة النظام إليها ) .

(١٨) أرشيف ، الملف ٨٢٠ ، ورقة ١٧٦ .

(١٩) كتاب تيودور روتشتين ( تاريخ المسألة المصرية سنة ١٨٧٥ – ١٩١٠ ) الترجمة العربية الطبعة الثالثة فى سنة ١٩٥٠ بالقاهرة بالصفحة ٢٠٢ ( الناشر ) وقد نقل المؤلف عن نسخة روسية من هذا الكتاب طبعت فى موسكو سنة ١٩٥٩ بالصفحة ١٦٨ ومن الجدير بالذكر أن روتشتين روسى قد عمل سكرتير اللينين زعيم ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ الروسية ثم سفيراً لروسيا السوفيتية بإيران بعد هذه الثورة ( الناشر )

(٢٠) شكلت هذه الوزارة المصرية فى يوم ٢٠ يونية سنة ١٨٨٢ من سياسيين من مختلف الاتجاهات ورأسها راغب باشا وشغل فيها عرابى باشا وزارة الحربية

(٢١) كلبرج – ( ثورة عرابى باشا فى مصر ) باللغة الروسية ، طبع موسكو ولينينجراد فى سنة ١٩٣٧ بالصفحتين ٥٤ و ٥٥ وهو يشير إلى أن هذه الدول شأنها شأن بريطانيا وفرنسا حاولت أن تأتى بحكومة مصرية أقل تطرفاً من سابقتها + وهذه هى المرة الأولى التى نعلم بها بهذا الكتاب الروسى السوفيتى عن الثورة العرابية ، ويجدر البحث عنه ونقله إلى لغتنا العربية ( الناشر)

(٢٢) أرشيف . مجموعة القنصلية الروسية العامة فى مصر ، مستند ٨٢٠ ورقة ٦٠ من لكس إلى جيرز من الاسكندرية فى يوم ١٦ يونية سنة ١٨٨٢ أرشيف مستندات وزارة الخارجية الروسية — مستند ٨٢٠ ورقة ١٠ من لكس إلى ملنكوف من الاسكندرية فى يوم ١٧ يونية سنة ١٨٨٢ .

(٢٣) أرشيف وزارة الخارجية الروسية ، الملف ٨٢٠ ، ورقة ١٠٤

(٢٤) وثائق الديوان القيصرى عن ١٨٨٢ المجموعة الأولى ورقة ٥٥ .

(٢٥) أرشيف وزارة الخارجية الروسية الملف ٨٢٠ ، ورقة ٣٠٠ من لكس إلى جيرز من الاسكندرية فى يوم ٥ يولية سنة ١٨٨٢

(٢٦) كانت الدول المشاركة فى هذا المؤتمر هى النمسا المجر وبريطانيا ، وفرنسا وألمانيا ، وإيطاليا وروسيا ثم انضمت إليها بعد شهر الدولة العثمانية (تركيا)

(٢٧) التقويم الدبلوماسى السنوى للإمبراطورية الروسية سنة ١٨٨٣ طبع سان بطرس لورج باللغة الروسية ص ٨٥ ، ٨٧ ، وباللغة الفرنسية ص ٢٣٩ — ٢٤١

(٢٨) مجموعة معاهدات روسيا مع الدول الأجنبية سنة ١٨٥٦ — ١٩١٧ ، طبع موسكو باللغة الروسية فى سنة ١٩٥٢ ص ٢٣٤

(٢٩) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية (سنة ١٨٧١ — ١٩١٤ المجموعة الأولى ، الجزء الرابع ، مستند ٤١١ ص ٣٨٨ ( باللغة الفرنسية ) + راجع نص هذه الوثيقة باللغة العربية فى كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى سابق الذكر بالصفحة ٣٢٦ ، وأهم مافيها هو ( تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية ، لاتبحث عن احتلال أى جزء من الأراضى المصرية ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها لايخول لرعايا الحكومات الأخرى ) — ( الناشر )

(٣٠) خطابات الملكة فكتوريا ( ملكة بريطانيا سنة ١٨٣٧ - ١٩٠١ ) ، المجموعة الثانية ، الجزء الثالث ، طبع لندن بالإنجليزية فى سنة ١٩٢٤ ، ص ٣٠٤ و ٣٠٥

(٣١) وكان ضمها قطعتان بحريتان حوبيتان روسيتان هما الطراد آسيا والقلبر زابياكا وإليها إلتجأ موظفو قنصلية روسيا ورعاياها بمصر أثناء ضرب الاسكندرية ، وقد تضمنت تعليمات وزارة الحربيـة الروسية لقائد أسطولها البحرى فى هذه الأثناء ( إن الغرض الوحيد من وجودك هو حماية رعايانا وتقديم المساعدات إليهم فى الحالات التى يضطرون فيها إلى طلبها منك ، وعليك ألا تشارك فى العمليات الحربية سواء من البحر أو بالنزول إلى البر وألا تدخل فى مفاوضات أو حتى فى محادثات عن الحالة السياسية فى مصر مع قادة الأساطيل الأخرى بالاسكندرية ، وإذا أصروا على إشراكك فى عملياتهم أخبرهم أنك اتيت لحماية أرواح رعايانا فقط ) ، أرشيف الأسطول البحرى الروسى ، الملف ٤١٠ - ٢ ، مستند ٢١٧٥ ، الورقتان ١٧ و ١٨ .

(٣٢) أخبر نورثبروك وزير االبحرية البريطانية جرانفيل وزير الخارجية البريطانى بصراحة أن مدفع قلاع الاسكندرية لاتشكل خطراً جدياً على ( سفن الأسطول البريطانى ؛ ولكن إذا أردنا أن نفتعل معوكة فيمكننا أن تأمر ) الأميرال سيمور بطلب تجريد هذه القلاع من المدافع) ، كتاب كوبلاند (سياسة جلادستون الخارجية) ؛ طبع نيويورك ولندن ، باللغة الإنجليزية فى سنة ١٩٣٥ ص ١٨٣ .

(٣٣) أرشيف وزارة الخارجية الروسية ، الملف ٨٢٠ ورقة ٩٧ من لكس إلى ملنكوف من على ظهر الطراد آسيا بالاسكندرية فى يوم ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ .

(٣٤) وثائق الديوان القيصرى لسنة ، ١٨٨٢ ، المجموعة الأولى ورقة ٥٨ من لكس إلى جيرز من الاسكندرية فى يوم ٦ يولية سنة ١٨٨٢ . وعلى هامش هذه البرقية كتب القيصر اسكندر الثالث معلقاً ( بريطانى أصيل )

(٣٥) أرشيف وزارة الخارجية الروسية ، الملف ٨٢٠

(٣٦) أرشيف الاسطول الحربى الروسى ، الملف ٢/٤١٠ ، مستند ٢١٧٦ ، ورقة ٨٦ . تقرير لومن إلى الأميرال شبوشيف قائد الاسطول الروسى فى المياه اليونانية ، من الاسكندرية فى يوم ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢

(٣٧) المرجع السابق ، الأوراق ٩٠ - ١٠٢ تقرير لومن إلى الامير ألكسى القائد العام للاسطول الروسى من الاسكندرية فى يوم ٣١ يولية سنة ١٨٨٢ ، وأيضاً الملف ٨٧٠ - ١ مستند ١/١٣١٨١ الأوراق ٨٢ - ٨٨ ، ٩٥ ( سجل القلبر وزابياكا عن سنة ١٨٨٠ سنة ١٨٨١ وعن سنة ١٨٨١ - سنة ١٨٨٢ )

(٣٨) المرجع السابق ، المجموعة ٢/٤١٠ ، مستند ٢١٧٦ ورقة ٩٨

(٣٩) المرجع السابق ، المجموعة ٢٨٣ - ٣ ، الملف ١٤٧٦ ورقة ١٧٤ من أمازوف إلى شستاكوف من الاسكندرية يوم ١٥ يولية سنة١٨٨٢ وأرسل لكس برقية مماثلة إلى جيرز فى ذات اليوم - وثائق الديوان القيصرى اسنة ١٨٨٢ ، المجموعة الأولى ، ورقة ٤٣ ( بالفرنسية )

(٤٠) مكتبة لينتجراد العامة ، المخطوط رقم ٨٥٦ ، الملف ٩ - ٥٣ مذكرات شستاكوف .

(٤١) أرشيف الأسطول الحربى الروسى ، المجموعة ٢٨٣ - ٣ - الملف ١٤٧٦ - ١٧٦ من جيرز إلى شستاكوف من بترهوف فى يوم ١٥ يولية سنة ١٨٨٢

(٤٢) المرجع السابق ، ورقة ١٧٥ من جيرز إلى شستاكوف فى يوم ١٦ يولية سنة ١٨٨٢ ، وفى مذكرات هذا الأخير عن سنة ١٨٨٢ يقول إن ( القيصر إسكندر الثالث تلقى خبر ضرب البريطانيين الاسكندرية بغضب لم يخفه وتحدث عنه على هذا النحو وأسمى البريطانيين وحوشا أثناء الغذاء فى حضور بعض السيدات ) .

(٤٣) المرجع السابق ، المجموعة ٢٨٣ – ٣ ، الملف ١٤٧٦ ورقة ١٧٥ – برقية من شستاكوف إلى أمازوف من سان بطرس بورج فى يوم ١٦ يولية سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية )

(٤٤) المرجع السابق ، المجموعة ٤١٠ – ٢ ، الملف ١٧٦ ورقة ٦٤ تقرير من أمازوف إلى شيوشيف من جنوة فى يوم ٢٧ يولية سنة ١٨٨٢

(٤٥) المرجع السابق ، المجموعة ٨٧٠ – ١ ، الملف ١٣١٨١ – ١ ورقة ٨٥ .

(٤٦) أرشيف وزارة الخارجية الروسية – الملف ٨٢٠ ورقة ٨٨ من لكس إلى ملنكوف من الاسكندرية من على ظهر القلبر زابياكا فى يوم ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ .

(٤٧) أرشيف الأسطول الحربى الروسى المجموعة ٨٧٠ – ١ ، الملف ١٣١٨١ – ١ ورقة ٨٦

(٤٨) أرشيف وزارة الخارجية الروسية ، الملف ٨٢٠ ورقة ٣١٧ من لكس إلى ملنكوف من الاسكندرية فى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٨٨٢

(٤٩) أرشيف الأسطول الحربى الروسى ، المجموعة ٤١٠ – ٢ الملف ٢١٧٦ الورقتان ١٧١ ، ١٧٢ – تقرير من جور إلى الأمير ألكسى من الاسكندرية فى يوم ٢٥ أغسطس سة ١٨٨٢

(٥٠) أرشيف وزارة الخارجية الروسية ، الملف ٨٢٠ الورقتان ١٦ ، ١٧ نسخة من تقرير سولوجوب إلى نليدوف سفير روسيا بالقسطنطينية ، من الاسماعيلية فى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢

(٥١) وثائق الديوان القيصرى عن سنة ١٨٨٢ ، المجموعة الأولى – ٢٧ورقة ٤١٧ من جيرز إلى أونو فى يوم ٢٦ يولية سنة ١٨٨٢ (بالفرنسية)

(٥٢) المرجع السابق ، المجموعة الأولى - ٢٥ ورقة ٤ من أونو إلى جيرز - من بوكدرى بضواحى القسطنطينية فى يوم أول أغسطس سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية )

(٥٣) المرجع السابق ، المجموعة الأولى - ٢٧ ورقة ٦٦ برقية سرية من أونو إلى جيرز - من القسطنطينية فى يوم ١٢ يولية سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية )

(٥٤) المرجع السابق، المجموعة الأولى ٢٤ ورقة ٢٧٨ - رسالة من أونو إلى جيرز - من بوكدرى فى يوم ١٢ يولية سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية )

(٥٥) المرجع السابق ، ورقة ٢٧٧ وتصح إضافة أن سياسة ألمانيا هى التى دفعت روسيا إلى العودة إلى مؤتمر القسطنطينية الدولى ، وأن هذه السياسة هى التى حالت دون معارضة روسيا جدياً للاعتداء البريطانى على مصر اعتماداً على العمل المشترك للدول المحايدة - راجع سياسة ألمانيا الخارجية سنة ١٨٧١ - ١٩١٤ الجزء الرابع مستند ٧٢٨ طبع برلين باللغة الألمانية فى سنة ١٩١٤ ومجموعة الوثائق الفرنسية سنة ١٨٧١ - ١٩١٤ ، المجموعة الأولى الجزء الرابع مستند ٤٩٠ .

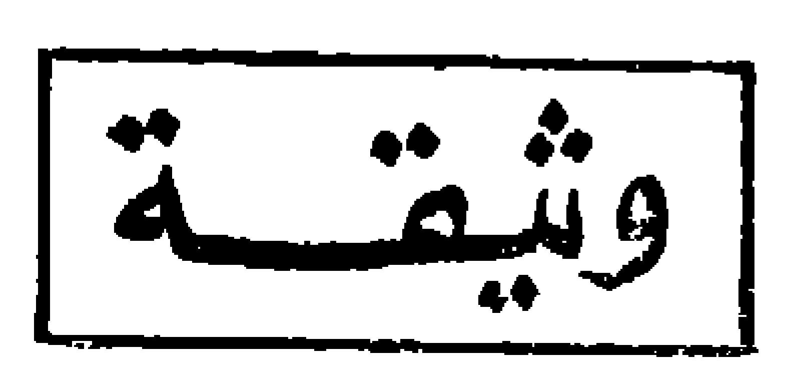
(٥٦) وثائق الديوان القيصرى عن سنة ١٨٨٢ ، والمجموعة ٢٣٧ ورقة ٤٢٩ ( بالفرنسية ) .

(٥٧) المرجع السابق ، ورقة ٤٢٧ ( بالفرنسية

(٥٨) المرجع السابق - المجموعة ٢٥ ورقة ٣١ - من أونو إلى جيرز - من بوكدرى فى يوم ٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية )

(٥٩) أرشيف وزارة الخارجية الروسية - الملف ٨٢٠ ورقة ٣٤٨ من نليدوف إلى لكس من بيرا ( بضواحى القسطنطينية ) فى يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨٢ ( بالفرنسية ) .

(٦٠) المرجع السابق ، الملف ٨٢١ ، الورقتان ٢٣ و ٢٤ من خترووفو إلى جيرز - من القاهرة فى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ( بالفرنسية )




رقم ٣



# من مذكرات كوسل بك
# عن الثورة العرابية

## ١ – تعريف بالمذكرات وبصاحبها

كوسل بك كان موظفاً بريطانياً عاملا بمصر من قبل الثورة العرابية . فقد أتى إليها فى سنة ١٨٦٣ واشتغل أولا بشركات حلج القطن بالزقازيق والاسكندرية ، ثم التحق بخدمة الحكومة المصرية بمصلحة الجمارك منذ سنة ١٨٧٧ . وكان فى سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٢ وهما سنتا الثورة العرابية مفتشاً عاماً للجمارك وقائماً بعمل مديرها العام ومقيماً بالاسكندرية . وشاهد بعض أحداث هذه الثورة بل وشارك فيها . ومنحته الأميرالية ( وزارة البحرية ) البريطانية ميدالية مكافأة له على خدماته التى أداها للأسطول البريطانى منذ قدومه إلى مياه الاسكندرية فى شهر مايو سنة ١٨٨٢ حتى ضربه لها فى شهر يولية سنة ١٨٨٢ ، كما منحه مكافأة له عنها الخديوى توفيق باشا رتبة البكوية . وقد

ترك العمل بالحكومة المصرية لإلغاء وظيفته فى سنة ١٨٨٥ ، ولكنه بقى مقيماً ، فى مصر حتى سنة ١٨٨٧ حين غادرها نهائياً .

أما مذكراته عن إقامته بمصر فقد نشرها فى سنة ١٩١٥ بعيد قيام الحرب العالمية الأولى وإعلان الحماية البريطانية على مصر فى سنة ١٩١٤ ، وتحمل اسم « ذكريات إنجليزى عن مصر سنة ١٨٦٣ — ١٨٨٧ » . وهذه المذكرات غير معروفة نسبياً لنشرها أثناء هذه الحرب . وهى تتناول جميع فترة إقامته بمصر ، ولكن ماأنقله للعربية منها هو مقتطفات ، تتضمن ما شاهده أثناء الثورة العرابية ودوره فيها . وهذا الذى أنقله يلقى أضواء جديدة على هذه الثورة تتلخص فيما يلى :

أولاً — قيام الاتصالات بين قائد وضباط الأسطول البريطانى منذ قدومه إلى الاسكندرية فى شهر مايو سنة ١٨٨٢ وبين الموظفين البريطانيين العاملين فى خدمة الحكومة المصرية ومساعدتهم لدولتهم بريطانيا لحد خيانة الحكومة المصرية بالتجسس عليها والاستيلاء على أسلحتها وأموالها .

وثانياً — وصف ما جرى بالقنصلية البريطانية عقب مذبحة الاسكندرية فى يوم ١١ يونية سنة ١٨٨٢ من تهريب للأسلحة إليها واتصالات مع الأسطول البريطانى الراسى بمياهها ( أى بمياه الاسكندرية ) بشأن إنزال بحارته إليها .

وثالثاً — وصف المحاكمات العسكرية الميدانية المستعجلة (أى التى تجرى بميدان القتال حال نشوبه) — التى أجرتها بالاسكندرية فى بداية احتلال القوات البريطانية لها — قيادة هذه القوات لبعض المصريين بتهم مختلفة وإعدامها الفورى للمحكوم عليهم .

(الناشر)

## ٢ - نص المذكرات

● القسم الأول

فى شهر أبريل سنة ١٨٨٢ راجت بمصر إشاعات عن احتمال نشوب ثورة فيها ، ولما تحريت عنها من مصدر مصرى موثوق وعرفت أن لها أساسا من الصحة ، وجدت أنه من الأفضل إرسال زوجتى وابنتى إلى بيروت ثم إيطاليـــا ( الزوجة إيطالية ) حيث بقيتا إلى آخر تلك السنة . وأزاح سفرهما عبئاً عن كاهلى إذ جعلنى حر التصرف وتفرغت لمهام وظيفتى ( وهى مفتش عام الجمارك المصرية ) وتخلصت من القلق الذى كان سيساورنى فى الشهور التالية لما تسارع تتابع الأحداث المثيرة ، فقد كان التوتر سائداً وتسبب كل حادثة زيادته ورغم ذلك فوجئنا جميعاً بما انتهى إليه واختتم به.

فى يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٨٢ كنت أقف مع **جيمس موريس بك** مفتش عام خفر السواحل المصرية ( وهو بريطانى أيضاً ) على سطح مكتبة لنراقب وصول الأسطولين البريطانى والفرنسى ، ورأيناهما يلقيان مرساهما وشعرنا بالفخر الذى يشعر به غالبية البريطانيين عندما يشاهدون سلاحهم البحرى . إننى أتذكر هذا المشهد وأتذكر ما تنبأ به **موريس بك** عن عواقبه عندما قال ( السفن عظيمة لأنها

بريطانية ، ونحن فخورون جداً بها . ولكنني أخشى أن يكون هذا اليوم غير سعيد لنا . فلو أنها أي السفن تسببت في وقوع تغيير هنا أي في مصرفإنه سيؤدى إلى أن يحل محلنا نحن الموظفين البريطانيين المصريين في وظائفنا غيرنا من صنائع السلطة الجديدة حتى ولو كانوا غير مؤهلين ) فتأثرت بقوله لما كنت أعرفه عنه من بعد نظره (١)

وكان الأسطول البريطاني الذي رسا يشمل البوارج أو المدرعات الحربية ألكسندرا ، وإنفلكسبل ، وإنفنسبل ، وتمرير ، وسوبرب وسلطان ، ومونارك وسفن المدفعية بيكون ، وبترن ، وسوجنت وكوندور ، وديكوى ، ويبلغ عدد بحارته حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة وعدد مدافعه مائة وخمسين ويقوده نائب الأميرال السير فردريك بوشامب سيمور .

ولم يمض وقت طويل حتى تعرفت بالأميرال سيمور وبعدد من ضباطه وتناولت الطعام مراراً على ظهر سفينة القيادة المدرعة إنفسنبل، وكان قائدها هو القبطان رتشارد مولينو (٢) الذي تصادقت معه ، كما تعرفت بالماجور تولش العامل بالمخابرات الذي قاد بعدئذ فرقة ويلز . وقد وفقت اعتماداً على وظيفتي الرسمية وعلى معرفتي ببعض المصريين في أن أؤدي له خدمات رائعة تتصل بمهام عمله بالمخابرات .

ولم يؤد تواجد هذا الأسطول ( البريطانى والفرنسى) بمياه الاسكندرية إلى تهدئة الحالة بمصر ، بل على العكس بدأ الأوربيون المقيمون فيها يحسون بشئ من الخوف والتوتر فى انتظار التطورات التالية وأدركوا أنهم معرضون لأن يكونوا فى أى وقت فى مركز لايحسدون عليه .

وكان أول رد فعل على وصول الأسطولين هو أمر عرابى باشا بإعداد قلاع الاسكندرية للدفاع عنها وتكليف الجنود بذلك ليلا ونهاراً . وقد طلب الأميرال سيمور وقف هذه الأعمال وعدم نصب المدافع بهذه القلاع ، فكان الرد الذى تلقاه هو نفى القيام بهذه الأعمال ، ولكن ذات ليلة وجهت إحدى سفنه الحربية أنوارها الكاشفة إلى القلاع فكشفت الأعمال الجارية بها .

وفى يوم الأحد ١١ يونية سنة ١٨٨٢ فى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر بدأ الشعب بالهجوم على الأوربيين ، وكان سببه تجمعات من الطبقات الدنيا من العرب ومن البدو المسلحين بالنبابيت الذين دخلوا المدينة ( الاسكندرية ) وتجمهروا طوال ذلك اليوم . وكانت البداية فى الحى المالطى* حيث قتل العرب كثيرين من الأوربيين وبعد الظهر زاد المتجمهرون عدداً فنهبوا المحال وخربوها . ولوحظ أن

---

* كان المالطيون عندئذ من الرعايا البريطانيين ، لاستيلاء بريطانيا على مالطة وضمها إلى أملاكها منذ سنة ١٨٠٠ وحتى سنة ١٩٦٤ ( الناشر )

رجال الشرطة والضبط لم يفعلوا شيئاً للقضاء على هذا الشغب ، بل انهم اتهموا بتأييده وتشجيعه حتى أنه أبلغ عن أن بعض الأوربيين الذين لجأوا إلى الضبطية قد أغلقت عليهم أبوابها وقتلهم بداخلها الخفراء

إننى لن أكتب تفصيلاً عن المذبحة التى حدثت ، ولكننى سأروى جانبها الذى شاهدته شخصياً .

مساء يوم السبت ١٠ يونية سنة ١٨٨٢ اتفقت مع موريس بك على أن أقضى الليلة واليوم التالى معه بحى الرمل ، ثم أن ينضم إلينا القبطان مولينو . وفى يوم الأحد ١١ يونية سنة ١٨٨٢ وبعد الغذاء فى حوالى الساعة الثالثة مساء توجه ثلاثتنا إلى « حديقة النزهة » الواقعة على « ترعة المحمودية » لسماع فرقة الموسيقى العسكرية ولقاء وجهاء الاسكندرية . وركب القبطان مولينو معى بعربتى المكشوفة بينما ركب موريس بك عربة ثانية مع صديق آخر . ولما وصلنا إلى هذه الحديقة دهشنا لأنها كانت خالية تماماً خلافاً للمألوف بعد ظهر يومى الجمعة والأحد إذ تكون فيهما عادة مكتظة بالعربات ولم نر غير عربة واحدة يركبها ضابط بحرى بريطانى من السفينة الحربية سوبرب وآخرون. وبعد أن تمشينا قليلا بهذه الحديقة قررنا العودة إلى المدينة لمعرفة سبب إقفارها — أى الحديقة — وركبنا عربتنا . وفى طريق العودة شاهدنا عربة الضابط البحرى المذكورة عائدة إلى

المدينة أيضاً ، ثم عربة للحريم قادمة نحونا ( أى من المدينة ) ، فسألت سائقها عما يحدث بالمدينة فأخبرنى أن مشاجرة حصلت بالحى المالطى بين العرب والمالطيين وقتل فيها عدد من المشاجرين . ولما علم القبطان مولينو بهذا الخبر طلب إلى أن أوصله مباشرة إلى الميناء لأنه ينبغى أن يكون على ظهر سفينته الحربية ، فأخبرت موريس بك بذلك وامرت سائق عربتى الإيطالى جيوفانى بالإسراع فسبقت عربة موريس بك بفضل المهرة «بسى» المشتراة من حظائر الخديوى وفى الطريق صادفتنا تجمعات من الرجال والنسوة العرب أخذوا يسبوننا ويصيحون بنا ( اسرعوا فأنتم ذاهبون إلى حتفكم ) ، ولما ترجمت كلامهم للقبطان مولينو لم يرتح إليه . وقد كان يبدو وهو يرتدى ملابسه العسكرية وقبعته انجليزياً قحاً ، بينما كنت أبدو مصرياً لأننى كنت أرتدى الإسطمبولية ( أى الحلة أو البدلة ) والطربوش .

ولما اجتزنا باب رشيد ( وهو باب شرقى ) وجدنا جنوداً مصريين فى ميدان خال وأمامهم أسلحتهم مكومة ورأينا ضباطهم جالسين وهم يدخنون ، ولما سلمنا عليهم ردوا علينا السلام فشعرنا لفترة قصيرة بالاطمئنان لاننا اعتقدنا أنه لو كانت الاضطرابات تسود المدينة حقاً لما بقى هؤلاء الجنود وضباطهم فى هذا المكان ، ولكن سرعان ما اتضح أنهم كانوا ينتظررن ورود أوامر التدخل من عرابى باشا الموجود بالقاهرة .

وعلى جانبي شارع رشيد كانت أبواب المنازل مغلقة ومحصنة، ومن شرفاتها كانت تنبعث أصوات الرجال والنساء الموجودين بها تطلب منا عدم الذهاب إلى المدينة لأن الأوربيين يقتلون بها . ولكن هذا زاد من إصرار القبطان مولينو على الالتحاق بسفينته الحربية ، ولذلك فإننا لم نلتفت لأحد حتى وجدنا أنفسنا بالميدان الكبير (ميدان المنشية) فى وسط المعارك وتمكن سائقنا من التوقف بصعوبة فى الوقت المناسب . ووقف القبطان مولينو بالعربه يتطلع إلى ما يحصل أمامه وأخبرنا أن ضابطاً بريطانياً يجرى قتله ، وأنه من الأفضل الذهاب إلى القنصلية البريطانية فاتجهنا إليها حتى وصلنا بصعوبة مخترقين حشوداً من الناس فوجدنا أبوابها مقفلة ، ولكن بوابها كان يعرفنى فأدخلنا إليها وكذلك أدخل إليها موريس بك وصديقه اللذين لحقا بنا . وكانت القنصلية فى حالة فوضى شديدة تزدحم بالنساء والأطفال البريطانيين الخائفين الباكين . وبعد وصولنا بقليل انهار كالفرت نائب القنصل (البريطانى) من الإجهاد ونقل إلى حجرته. ثم أتى بالقنصل البريطانى كوكسن مجروحاً جرحاً بليغاً ، فقد حاول استعمال نفوذه فى تهدئة المشاغبين فى الحى المالطى فأصابته ضربة على رأسه كادت أن تقضى عليه . وبذلك صارت القنصلية البريطانية لا آمر لها فاتصل القبطان مولينو بالأميرال سيمور بالخط التلفونى (الذى كان قد مد بين القنصلية البريطانية وسفينة قيادة الأسطول البريطانى إثر وصوله) وشرح له الموقف

وأبان له أنه يستحيل عليه العودة إلى سفينته الحربية ، فأمره الأميرال سيمور بأن يبقى بالقنصلية البريطانية وأن يتولى إدارتها . وعندئذ طلب القبطان مولينو منى ومن موريس بك البقاء معه لمساعدته فوافقنا طبعاً . وكان العمل شاقاً لالتجاء المالطيين إلى القنصلية وهم مذعورون وتكاد أن تتعذر تهدئتهم .

وبعد الساعة الخامسة مساء بدقائق ظهرت قوات الجيش المصرى على المسرح وفرقت المشاغبين بالشوارع ، فاسترحنا بعض الراحة ولكن مالبث أن ساد الظلام وكانت أصوات الطلقات النارية ووقع أقدام الجنود بالشوارع غير مطمئنة للاجئين لتخوفهم من أن ينضم إلى المشاغبين الجنود فيتم القضاء عليهم أى على اللاجئين ، ولكن الضباط حافظوا على انضباط جنودهم .

وكان بالقنصلية البريطانية عدد من البنادق والمسدسات وكمية كبيرة من الذخيرة نقلت إليها بعد نهب محل مالطى لبيع الأسلحة مجاور لها ولكن هذه كانت مصدراً للقلق ، كما كانت تجب المحافظة عليها . فبعد نقلها بقليل إلى القنصلية طرق بابها عمر لطفى باشا محافظ الاسكندرية والقائمقام سليمان سامى داود بك(٣) من قوات الجيش المصرى بها وضابطان مصريان آخران وطلبوا مقابلة القنصل ، فقابلهم القبطان مولينو وقمت بالترجمة ، وبدا أنهم علموا بتهريب الأسلحة والذخائر إلى القنصلية فأتوا فوراً لإخبارنا أن حيازتها قد

تؤدى إلى عكس مانريد تجنبه وحذرونا من استعمالها من النوافذ ، وأضاف القائمقام سليمان سامي داود بك أن قوات الجيش المصرى تسيطر على المدينة وتحافظ على النظام ولكنه لن يكون مسئولا عن تدخل الأوربيين .

وفى أثناء الليل اتصل بنا (تلفونياً) الأميرال سيمور وأخبرنا أنه يقوم بإرسال بعض الزوارق التى تحمل بحارة وجنود بحر بريطانيين ، لكى ينزلوا إلى البر بالميناء الشرقية قريباً من القنصلية البريطانية لحراستها ، وطلب إرسال مندوب عنها لاستقبالهم وارشادهم فتحسنت أحوالنا ، ولكن مالبث أن أزعجنا طرقاً عالياً على باب القنصلية فقد عاد المحافظ والقائمقام . وأخبرنا المحافظ — والخوف باد عليه من القائمقام — أن الجنود المصريين علموا أن زوارقنا آتية إلى الميناء الشرقى وأنهم سيصدونها بالمدافع . وقد سمعنا فعلاً صوت عجلات المدافع والخيول تجرها متجهة إلى هنالك . فاستمهلنا المحافظ والقائمقام خمس دقائق اتصل خلالها (تلفونياً) مولينو بالأميرال سيمور وشرح له الموقف وأبان له أن القوارب ستغرق وأن الجنود المصريين سيتمردون فيكون ذلك نهاية الأوربيين ، فوافق الأميرال سيمور على الأمر بإيقاف الزوارق فوراً لأنها كانت قد اقتربت فعلا من المكان المحدد لرسوها بالبر .

ولكن إصدار الأمر بذلك كان أيسر من تنفيذه ، لأن تنفيذه

كان يتطلب أن يتلقى الضابط آمر الزوارق أمراً من شخصية هامة لكى يعدل عن تنفيذ الأمر السابق الصادر من الأميرال **سيمور** بالنزول إلى البر . وقد تم الاتفاق على أن يقوم بهذه المهمة **موريس بك** لأنه كان من قبل ضابطاً بحرياً بريطانياً وقد قام بها يرافقه ضابطان مصريان ، إذ استقل الجميع قارباً مماوكاً ليونانى وتمكنوا من لقاء زوارق الإنزال فى الوقت المناسب ( وقد أخبرنى **موريس بك** فيما بعد أن آمر هذه الزوارق تلقى بامتعاض أمر الأميرال **سيمور** بالعودة ) . وقد سررنا عندما عاد **موريس بك** إلينا بالقنصلية البريطانية وأخبرنا أن الزوارق قد عادت ، وعندئذ فقط غادرها ( أى القنصلية ) المحافظ والضباط المصريون المرافقون له .

وكانت هذه الليلة أطول ليلة أذكرها فقد كان الوقت يمضى بطيئاً . وفى حوالى منتصف الليل * وردت برقية من الخديوى **توفيق باشا** تفيد أن وكيل وزارة الحربية المصرية ومندوبون آخرون سيصلون إلى الاسكندرية بقطار خاص ( من القاهرة ) ويتوجهون رأساً إلى القنصلية البريطانية لوضع الأمور فى نصابها . وفعلا وصل فى الساعة الثالثة صباحاً **يعقوب سامى باشا** وكيل وزارة الحربية المصرية و**بطرس غالى باشا** وكيل وزارة الحقانية المصرية وياور الخديوى **توفيق باشا** وياور **درويش باشا** المبعوث العثمانى ، وعقدوا مؤتمراً بمحافظة

* يستفاد من هذا أن حادث الزوارق كله وقع قبل منتصف الليل (الناشر)

الاسكندرية اتخذوا فيه عدة قرارات أهمها أن ينقل جميع النساء والأطفال الأوربيين ومن شاء من هؤلاء أنفسهم إلى السفن الراسية فى ميناء الاسكندرية وأن تحرسهم قوات الجيش المصرى فى طريقهم إليها.

وأراحنا هذا القرار وتم تنفيذه فى الصباح (فى يوم ١٢ يونية سنة ١٨٨٢ ، فقد جرى بأوامر المحافظ والقائمقام (الذى كانت قواته تسيطر على الشوارع) الاستيلاء على جميع العربات لاستعمالها فى توصيل اللاجئين إلى رصيف الجمارك بالميناء ورافق جندى مسلح مصرى كل سائق عربة حتى إبحار اللاجئين فى القوارب التى قدمتها السفن الحربية ، وكان ضابط مصرى وجنوده يراقبون الحالة حتى لا تساء معاملة اللاجئين ، وأنجز كل ذلك دون حوادث .

وفى هذه الأثناء علمت أن المستر كاليار مديرنا العام (أى مدير عام الجمارك المصرية) وهو بريطانى ، مريض ويقيم بمنزل غير بعيد عن محطة ترام الرمل القريبة من القنصلية البريطانية ، فذهبت إليه وأخبرته بقرار حماية الأوربيين الراغبين فى الالتجاء إلى السفن بالميناء وقد كان والذين معه من هؤلاء منزعجين جداً وينتظرون أية أخبار بعد قضائهم ليلة صعبة ، ولهذا فقد صاحبونى إلى هذه القنصلية ومنها استقلوا عربة إلى الميناء . وسافر كاليار فى اليوم التالى إلى أوربا ولم يعد إلى مصر إلا فى شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ . وفى ذات اليوم ترك السكرتير العام للجمارك المصرية عمله دون إذن ، فصرت

أنا وحدى المسئول عن مصلحة الجمارك المصرية وعينى وزير المالية المصرى قائماً بأعمال مديرها العام .

وكان ضمن الأوربيين الذين قتلوا فى المذبحة إنجليزى مرموق هو الدكتور ه . **ربتون** المعروف لى جيداً وابن الدكتور **جورج ربتون** من مدينة دبلن ، وكانت الجالية الإيطالية تعرفه جيداً لأنه أقام من قبل فى نابولى ، وقد كان طبيباً وكذلك مبشراً معروفاً ، وكثيرا ماكان يعظ على السفن البريطانية وغيرها بميناء الاسكندرية وفى يوم المذبحة كان عائداً من الميناء ومعه ابنته حينما فاجأهما المشاغبون وقتلوه ، ولكن ابنته نجت إذ أنقذها بعض الأقباط بإخفائها بأحد المنازل حتى صباح اليوم التالى ثم أخرجوها منه مرتدية ملابس مصرية وقد وجدت بمستشفى مصرى جثة هذا القتيل عارية من الملابس ومشوهة لدرجة جعلت التعرف عليه صعباً .

وكان من ضحايا المذبحة كذلك انجليزيان أعرفهما هما المستر **روبرت دوبسون** ، والمستر **ريجينالد رتشارد سون** من ما نشستر ، ويبدوا أنهما قتلا عند محاولتهما انقاذ موظف بالتلغراف حال نزوله من البحر بالميناء الشرقية* .

---

* لاحظ ستون باشا فى مقدمه مذكرات إبنته الآتى ذكرها أنه لم يسجل حادث اعتداء فى هذه المذبحة على أية امرأة ، أجنبية

وبعد المذبحة بدأت الهجرة العامة للأوربيين (من الاسكندرية) ، وكانت جموع أسرهم المذعورة تمر بميدان المنشية فى طريقها إلى الميناء حيث ينقلهم المراكبية المصريون إلى السفن التجارية التى استأجرتها لها دولهم ، وكان هؤلاء المساكين قدفقدوا غالبية أملاكهم ولا يحملون إلا بعضها الذى أمكنهم إنقاذه ، وكان منظرهم مؤلماً وهم يتدافعون إلى القوارب ويدفعون لهؤلاء المراكبية أجوراً باهظة ، وكانت السفن التجارية بعد امتلائها بهم تسافر إلى سورية واليونانومالطة وإيطاليا ، وظل الحال كذلك حتى قبيل ضرب الاسكندرية .

وفى هذه الأثناء كنت منشغلا جداً لأنه ألقيت على عاتقى مسئولية إدارة الجمارك المصرية وهى لاتشمل فقط جمرك الاسكندرية ، بل أيضاً جمارك بور سعيد والاسماعيلية والسويس ودمياط وغيرها .

وعن هجرة الأوربيين العامة رجالا ونساء وأطفالا من كل الجنسيات كتبت مجلة « الجرافيك » ( البريطانية ) أن السفينتين التجاريتين «نرسيسا »و« روزينا » هما من السفنالتى استأجرتها الحكومة البريطانية للاجئين من رعاياها ويشرف على نشاطها اللورد **شارلس برسفورد** قبطان السفينة الحربية ( المدفعية ) « كوندور ، والقبطان **موريسون** قبطان السفينة الحربية « هيلكون » . وأن كل الترتيبات لراحتهم ممتازة رغم ضيق الوقت الذى أعدت فيه هاتان السفينتان

لاستقبالهم ، وأن مشكلة طهى الطعام لهم قد حلت إذ تم ذلك فى براميل بناء على اقتراح **اللورد برسفورد**

وفى هذا الوقت وقعت حادثة كانت ستؤدى إلى عواقب وخيمة إلا أن حسن حظى مكننى من تفاديها . فلم أكن أصدق أن السفن الحربية البريطانية كانت مهددة تهديداً أبدياً بل وخطراً بإصابتها بألغام أو بطور بيدات أثناء رسوها بميناء الاسكندرية ، ولكن كان هذا هو الواقع . فيبدو أن الجنرال ( الأمريكى ) **شارلس ستون باشا** رئيس أركان حرب الجيش المصرى كان قد طلب سراً من أمريكا شراء ألغام لكى يلغم بها ميناء الاسكندرية أو جهاز خاص للتفجير تحت الماء* . وقد وصل ماطلبه فعلاإلى جمرك الاسكندرية ، من أمريكا عن طريق لفربول ( ببريطانيا ) على سفينة شحن عادية وبصفة طرد بضاعة عادى لايحمل بياناً عن مصدره ولا عن المرسل إليه أو عنوانه بل يحمل علامات قليلة لاتدل على ذلك إمعاناً فى السرية التامة ، وخزن بمخازن البضائع بهذا الجمرك انتظاراً لمن يطلبه . وبعد المذبحة بقليل قدمت إلى بصفتى القائم بأعمال مدير عام الجمارك المصرية عدة طلبات من **عرابى باشا** بصفته وزيراً للحربية المصرية تستعلم

* راجع مقال (المهمة البحرية للكولونيل الأمريكى) لاى فى مصر سنة ١٨٧١ – ١٨٧٤ ) للمؤرخ الأمريكى المعاصر فردريك كوكس بمجلة كراسات التاريخ المصرى عدد مارس سنة ١٩٥٣ عن استيراد ستون باشا الألغام من أمريكا ايثها فى المياة المصرية للدفاع عنها

عن ورود طرد إلى الجمارك باسمه بصفته هذه أو باسم ستون باشا لأنه يعتقد أنه وصل فعلا ، وإن كان ليس لديه بيان أو مستند عنه ، فأمرت بالبحث بالمخازن فلم يعثر بها على طرد مرسل بهذه الصفة وبعد أيام حضر إلى ضابطان مصريان من وزارة الحربية المصرية قالا أنهما أتيا من قبل عرابي باشا للمساعدة في البحث عن الطرد المطلوب ، فرددت عليهما بأدب أنه غير موجود حالياً بالمخازن وأنها تحوى مئات من الطرود ويحمل كل منها بياناته الخاصة به ومن المحظور على موظفي الجمارك فتح أي طرد إلا بحضور صاحبه ، كما يجب أن يكون لدى صاحبه مستند من شركة الملاحة الشاحنة . فانصرف الضابطان غير أنه في اليوم التالي حضر إلى ضابطان مصريان كبيران وألحا في طلب الطرد بلهجة آمرة غير مقبولة .

وقد أثارت هذه الطلبات والزيارات الشك في نفسي وجعلتني أتحفظ وأعتقد أن الطرد لابد أن يحوى شيئاً هاماً جداً وخاصة أن أحد الضابطين المصريين الكبيرين قد أنذرني بأنه إذا لم يتم تسليم الطرد في ظرف ثمان وأربعين ساعة فإن عرابي باشا سيرسل جنوداً لفتح كل الطرود بمخازن الجمارك حتى يعثروا على هذا الطرد المطلوب لأنه من المؤكد أنه قد وصل وأزعجني جداً هذا الإنذار الذي يمثل أساليب عرابي باشا عندما يلقى معارضة ، فقررت أن أتصرف على مسئوليتي الخاصة حتى أجد الطرد المطلوب وأعرف محتوياته التي تأكدت لي أهميتها الكبرى ، الأمر الذي أثار فضولي

خلافاً لعادتى . ولهذا استدعيت بعد انصراف هذين الضابطين المصريين الكبيرين ، مفتش جمارك أوربى ذكى وموثوق به وأمرته بعدم مغادرة الجمارك فى فترة الغذاء وانتظارى . وفى هذه الفترة التى يتغيب فيها الموظفون — قمنا بفحص منفيستات السفن فى مختلف المخازن التى تحوى طروداً لم تطلب ، وفتحنا بعناية بعض هذه الطرود التى اشتبهنا فيها ثم أقفلناها . وأوقفنا عملنا عندما حضر الموظفون ثم استأنفناه بعد انصرافهم فى المساء ، ثم عدنا إليه فى اليوم التالى دون نتيجة حتى ملت إلى الاعتقاد أن الطرد المطلوب لم يصل بعد ، ولكن بحثنا تكلل أخيراً بالنجاح فقد عثرنا على طرد مخفى تحت طرود أخرى ، ولما فتحناه وجدنا به جهاز تدمير رهيب هو عبارة عن جهاز تفجير تحت الماء يكون سلاحاً خطيراً جداً فى أيدى **عرابى باشا** . وكان مفتش الجمارك على معرفة قليلة بالآلات ، فأمرته بتحطيم الأجزاء الهامة من هذا الجهاز أو نزعها منه حتى يبطل مفعوله فيما وصل إلى **عرابى باشا** . وبعد أن قام بذلك أغلقنا المخزن وأسرعت إلى السير **أوكلاند كولفن** (٥) المستشار المالى البريطانى للحكومة المصرية — الذى كان بالاسكندرية وأخبرناه بما حصل فأمر بإبلاغ الأمر إلى الأميرال **سيمور** الذى تلقاه بدهشة ووافق على اقتراحى إرسال الطرد إليه بسفينة القيادة المدرعة انفنسبل ، وقد تم ذلك تحت جناح الظلام . كما أبلغ الأمر كله إلى الأميرالية ( وزارة االبحرية ) البريطانية بلندن فأفرطت فى شكرى .

## ٣ – من مذكرات كوسل بك

### القسم الثانى

كنت أخصص أوقات فراغى القليلة لمساعدة الماجور **تولش** ضابط المخابرات البريطانى – وكان متخذاً مقره على ظهر سفينة القيادة المدرعة إنفنسبل – فى عمله الاستطلاعى السرى الذى أدى أجل الخدمات للأميرال **سيمور**، ولكن الموقف قد تحرج جداً لأنه على الرغم من إصرار الأميرال **سيمور** استمر العمل فى تحصين القلاع المصرية بالاسكندرية ، فأنذر فى يوم الخميس ٦ يولية سنة ١٨٨٢ قائد موقع الاسكندرية المصرى اللواء **طلبة عصمت باشا** بوقف هذا العمل وإلا دمر القلاع ، ثم أنذره نهائيا فى يوم الإثنين ١٠ يولية سنة ١٨٢٢ بذلك بل وبتسليم مواقع هذه القلاع فى ظرف أربع وعشرين ساعة وإلا بدأ الضرب :

وارتأى الماجور **تولش** أنه من الضرورى ( فى هذه الظروف وهى توقع نشوب الحرب) السفر بقطار السكة الحديد إلى كفر الزيات الواقعة عند منتصف خط السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة للوقوف على ما إذا كان **عرابى باشا** يعد بها مواقع دفاعية ومدى قوتها ، فأفهمته أن كل الأوربيين تقريباً قد غادروا القاهرة

والبلاد المصرية الأخرى وانتقلوا إلى السفن التى أعدت لهم بالاسكندرية وأن قطارات السكك الحديدية ستكون ملأى بالمصريين (المهاجرين من الاسكندرية إلى داخل مصر) وحدهم ، وأنه سيكون معرضاً لخطر كبير ، غير أنه صمم على السفر فلم أحاول أن أثنيه عن عزمه إلا أننى أقنعته أن يحلق شاربيه وأن يستبدل الطربوش بالقبعة لكى لايبدو إنجليزياً . ولما وصلنا إلى محطة السكة الحديدية بان لنا أنه لن يتمكن من العودة إلى الاسكندرية فى مساء ذات اليوم وأن عليه المبيت بكفرالزيات فأزعجه ذلك ، ولكنه سافر فعلا وأسرعت أنا إلى سفينة القيادة برسالة شفوية منه طلب إلى إبلاغها إلى الأميرال سيمور . ولست فى حل من إفشاء مضمون هذه الرسالة ، ولكنها كانت هامة جداً لأنها أزعجت جداً متلقيها (الأميرال سيمور) لما سجل مضمونها ، ثم عدت إلى البر (إلى الاسكندرية) * .

وفى يوم الأحد ٩ يولية سنة ١٨٨٢ تلقيت تعليمات من السير أوكلاند كولفن بالتوجه إلى السفينة البريطانية تانجور التى سيتوجه إليها هو نفسه وموظفو القنصلية البريطانية فى المساء . وقد ذكرته

---

* يستدل من تسلسل الأحداث أن الماجور تولش سافر من الإسكندرية إلى كفر الزيات فى يوم ٧ أو ٨ يولية سنة ١٨٨٢ . هذا ويلاحظ أن الأسطول الفرنسى إنسحب من مياه الإسكندرية فى ليلة ١٠ يولية سنة ١٨٨٢ بناء على قرار الحكومة الفرنسيه برئاسة فرسينيه عدم مشاركته للأسطول البريطانى فى ضرب هذه المدينة (الناشر)

عندما سنحت الفرصة بأنه يوجد بخزينة الجمارك مبلغ عشرين ألف جنيه ذهباً وسألته عن رأيه بشأن وضعه فى مكان أمين فأجابنى بأنه يمكن النزول إلى البر فى اليوم التالى لاحضاره إلى هذه السفينة . ولكن كثيرين ممن سمعوا حديثنا نصحونى بشدة ألا أحاول ذلك لأنه من الجنون أن أعرض حياتى للخطر من أجل أموال الجمارك المصرية . ولكننى رأيت أن من واجبى القيام بهذه المحاولة حتى لو لم تنجح .

وبدأت أقلق على الماجور تولش لأن سفرته كانت خطرة ، فأرسلت مع مراكبى رسالة إلى القبطان مولينو الذى كانت سفينته الحربية المدرعة إنفنسبل مجاورة لسفينتنا أسأله فيها عن أخبار الماجور تولش فجاءنى رده فوراً أنه لم يعد بعد، ولكنه قد يكون وصل إلى الاسكندرية حيث يوجد بها فى مكان ما . ثم ظهر الماجور تولش فى المساء وأخبرنى أنه وفق جداً فى الحصول على المعلومات المطلوبة .

وفى الصباح الباكر لليوم التالى وهو يوم الأثنين ١٠ يولية سنة ١٨٨٢ ، استقليت قارباً مصرياً إلى البر لآتى بأموال الجمارك المصرية وأثناء نزولى سلم السفينة « تانجور » لحق بى شخص وسلمنى عدداً من البرقيات محررة على نماذجها الخاصة ، وطلب إلى تسليمها إلى السفينة التى على ظهرها مكتب التلغراف الشرقى — إيسترن — عند مرورى عليها فى طريقى إلى البر لكى يرسلها ، فوضعتها فى جيب

سترتى الخارجى ولكنه لم يسعها تماماً وظلت منه بارزة وظاهرة .
ثم قام بى قاربى ولكن انفعالى وانشغالى فيما أنا مقدم عليه أنسيانى تماماً أمر هذه البرقيات ( التى سأعود لذكرها ) فلم أسلمها إلى تلك السفينة ، وخاصة اننى فى طريقى إلى البر لم أقترب منها .

ولما وصلنا إلى رصيف الجمارك توجهت إلى مبانيها كأن شيئاً لم يحدث بل وأبديت استغرابى عن سبب الفوضى السائدة بالجمارك ، وبعد القيام ببعض الأعمال وإصدار بعض الأوامر ، استدعيت الصراف فحضر بعد هنيهة وأبدى دهشته برؤيتى وشاركه فى ذلك الحاضرون لأنه لم يكن موجوداً من الأوربيين غيرى ، فأبديت دهشتى لدهشتهم وأخذت أسألهم لماذا لاتيسر الأمور كالمعتاد وهل يعرفون سبباً لذلك ، حتى أقنعتهم بأنه لن يحدث شئ وأننى سأبقى معهم بالجمارك وأنها يجب أن تظل مفتوحة كالعادة . وأخبرتهم أن السير **أوكلاند كولفن** قد أمرنى بأن أرسل المال الذى فى حوزتنا بالجمارك إلى السفينة التى يوجد بها مقر بنك الكريدى ليونيه لإيداعه به مؤقتاً ، وكانت عادتنا أن نودع جميع أموال الجمارك فى هذا البنك مرة كل أسبوع لحساب صندوق الدين العام لأن إيرادات الجمارك المصرية كانت مخصصة لخدمة الدين العام . وأمرت الصراف بإعداد الأوراق المعتادة المعدة لذلك ووقع عليها كبير الكتاب كما وقعت عليها بصفتى المفتش العام بل والقائم بأعمال المدير العام للجمارك المصرية . واستحضرت الصندوقين المعدين لنقل النقود ووضعت

فى كل منهما عشرة آلاف جنيه ذهباً وأمرت الشيالين بحملهما إلى الميناء ووضعهما فى قاربى الذى كان فى انتظارى وسبقنى إليه الصراف وكبير الكتاب ، ولما هممت باللحاق بهما سمعت صياحاً ورأيت ضابطاً بحرياً مصرياً قد وصل ومعه حوالى العشرة جنود . وكان الضابط هو **مصطفى بك** الذى أعرفه من قبل ، فسألته بأدب عما يريده فأجاب ( أقبض عليك بأوامر **عرابى باشا** . ولن أسمح لك بمغادرة البر بأموال الجمارك ) .

وقفز بعض الجنود إلى القارب وأخرجوا منه الصندوقين وتجمع المراكبية والشيالون والحمارة حولى وأخذوا يشتمونني بأقذع الشتائم؛ ويستعدون للاعتداء على فحذرت الضابط المذكور من حدوث مشاجرة يفقد فيها الصندوقان ، واقترحت عليه إيداع المال الذى يحوياه بخزانة الجمارك تحت الحراسة واقتيادى إلى **عرابى باشا** لأشرح له كل شئ . فقبل الضابط ، وسرعان ما أعيد المال إلى خزانة الجمارك وسلمنى الصراف مستندات إيداعه بها . ثم اقتادنى الجنود إلى الترسانة وفى الطريق كاد الغوغاء أن يفتكوا بى لولا دفع الجنود لهم . ولهذا شعرت بالراحة عندما وصلنا أخيراً إلى الترسانة .

وهنالك كان **عرابى باشا** يعقد مجلساً حربياً فانتظرت خارج قاعة الاجتماع بحجرة كبيرة يملؤها ضباط مصريون كنت أعرف بعضهم فتجمعوا حولى وأخذوا يسألوننى عن سبب القبض على ،

فأجبتهم أنه حدث غلط وأن ما سأقوله لعرابى باشا سيوضح كل شئ فبدا إقتناعهم ، ثم أخذوا يسألوننى عن احتمال ضرب الأسطول البريطانى للاسكندرية فأجبتهم بأننى أعتقد أنه لاينوى ضربها ، ولكننى تجنبت أن أذكر شيئاً عن نيته ضرب قلاعها .

وكان المجلس الحربى قد أنهى أعماله الهامة فاستدعيت إلى حضرة عرابى باشا فسلمت عليه وانتظرت حتى يبدأ بالسؤال واستعددت للإجابة بهدوء . فقال عرابى باشا ( ماهذا الذى سمعته عن أنك وأنت موظف بالحكومة المصرية تنقل أموال جماركها فى قارب لكى تسلمها لسفينة حربية بريطانية ؟ ) فأجبته ( ياصاحب السعادة لقد وقع غلط فيما أخبروك به . فإننى لم آخذ هذا المال إلى سفينة حربية بريطانية ولكننى كنت أنفذ أوامر المستشار المالى للحكومة المصرية ) فسألنى عرابى باشا ( وكيف كان ذلك ؟ ) فأجبته ( كل أسبوع نودع حصيلة الجمارك المصرية فى بنك الكريدى ليونيه لحساب الدين العام . وأنت تعلم طبعاً ياصاحب السعادة أن مقر هذا البنك قد نقل إلى سفينة بالميناء . وكنت سآخذ المال الذى ذكرته إليه تحت إشراف الصراف وكبير الكتاب وقدمت إليه المستندات التى أعطاها إلى كبير الكتاب وقلت له ( يمكنك التأكد من قولى الحق ) .

وبعد أن قرأ عرابى باشا المستندات وعرضها على بعض أعضاء المجلس الحربى قال لى ( أرى أنك فعلت ذلك بالطريقة الرسمية

المعتادة ولكن كان يجب عليك ألا تفعله فى الوقت الحاضر فإن هذا المال مملوك للحكومة المصرية ) فأجبته ( آسف أنه ليس مال الحكومةالمصرية لأن إيرادات الجمارك المصرية مخصصة لصندوق الدين العام ، وهى مملوكة له وأننى مسئول أمامه وحده عنها ) فقال عرابى باشا ( نعم فى الأحوال المعتادة ولكننا الآن فى حالة حرب وكل الأموال التى فى البلد مملوكة للحكومة المصرية ولهذا سأنفق هذا المال ) .

ثم بدأ عرابى باشا تهجماً على الموظفين البريطانيين ( العاملين فى خدمة الحكومة المصرية ) لماذا هربوا ؟ وممّ يخافون ؟ ولما انتهى من كلامه أجبته بهدوء ( ياصاحب السعادة لا يمكننى إلا الحديث عن نفسى وأنالم أهرب وأعطيت الأمر بالاستمرار فى العمل بالجمارك اليوم كالمعتاد . ولكن فى هذه الظروف أرانى لاأستطيع القيام بواجباتى إلا إذا كنت تحت حمايتكم الشخصية وإن بسطتها على فيجب أن يكون ذلك علناً لأننى أخشى أن يكون كثيرون من العرب من جيران الجمارك معادين لى ) .

ويبدو أن كلامى قد راق لعرابى باشا فقد تبسم وقال ( لك أن تعتمد على ذلك فإننا كلنا نعرفك ومتأكدون من كونك صديقاً حقيقياً ومخلصاً للعرب ( للمصريين ) . وللأسف لايوجد موظفون ( أوربيون مثلك ) فانحنيت وانصرفت وهنأنى الضباط ( المصريون )

الذين كانوا بالحجرة المجاورة ( على هذه النتيجة وهى البراءة ) ، وأوصلنى إثنان منهما إلى الجمارك .

وبعدئذ توجهت إلى قاربى وقبل أن أستقله أعطيت بعض الأوامر لموظفى الجمارك وصحت قائلا (سأعود فى الساعة الثالثة مساء ) ، ثم أمرت المراكبية بسرعة التجديف ، ومن حسن حظى وصلت إلى السفينة « تانجور » وهى على وشك التوجه إلى الأمان بالميناء الخارجية لنلحق بالسفن الأخرى التى كانت جميعها قد اتجهت إليها . ودهش أصدقائى لما رأونى سليماً معافاً فقد سمعوا من بعض المراكبية أنه قبض على واقتدت إلى عرابى باشا ، فأوضحت لهم مراراً وتكراراً ما حدث .

ولما خلعت حلتى لم أتنبه إلى البرقيات التى تسلمتها ولم أرسلها ، كما لم أقابل الشخص الذى سلمها لى ، لأنه كان مراسلا حربياً وانتقل إلى سفينة حربية بريطانية لكى يراقب منها ضرب الاسكندرية بصورة أوضح ، وآمل أن يقبل عذرى فى عدم إرسالها . وبعد أسابيع وعند عودتى إلى البر بالاسكندرية اكتشفت أنها لم تزل موجودة فى جيب سترتى التى كنت ألبسها يوم القبض على فأسفت جداً لعدم إرسالها ، ولكننى لما طالعتها حمدت الله لأن عرابى باشا لم يطلع عليها لأنها كانت ستعرض حياتى للخطر ، فقد كانت مرسلة إلى صحيفة لندنية وتحوى خطط ضرب الاسكندرية ومواعيده

والسفن الحربية التى ستقوم به والقلاع التى ستضربها ، كما ان اطلاع عرابى باشا عليها كان سيؤدى إلى الإضرار بالسفن الحربية . ولكن الأمر قد انتهى الآن . وقد احتفظت بهذه البرقيات لكى أنشرها فيما بعد ليتعرف الناس كيف يقوم المراسلون الصحفيون الحربيون بأعمالهم التى تملأ أعمدة الصحف .

وها هو نص البرقيات المذكورة :

من الاسكندرية عن طريق إيسترن إلى لندن :

( فى ليلة أمس انفعال شديد فى الميناء فى كل مكان ذهبت إليه ، لما ثبت أن الأميرال سيمور قد صمم حقاً على إرسال إنذار الضرب . السفينة تانجور مكتظة بالإنجليز وسنستقبل أيضاً كولفن وكارترايت ووست وغيرهم . وأخيراً وصل آخر الإنجليز ووسط الظلام ترى أضواء من القلاع يعمل بها رجال فى تركيب بطاريات جديدة طوال الليل حتى الصباح . كل شئ هادئ والأميرال سيمور يستعد لإرسال الإنذار عندما تكون كل السفن المحايدة قد غادرت الميناء . والسفن الإنجليزية تستعد لاحتمال بدء العرب للضرب . السفن الأجنبية تغادر الميناء واحدة وراء الأخرى . الخديوى توفيق باشا بعيد فى سراياه تحت خط النار العرب يغادرون المدينة بأعداد كبيرة ويرسلون نساءهم وأطفالهم بعيداً بالعربات . الذعر شديد بين هؤلاء الوحوش الذين كانوا حتى الآن يكشرون فى وجـوه

الإنجليز . الرجال يواصلون العمل فى القلاع . الضرب قد يبدأ غداً فجراً وأعتقد أن الضرب سيستمر بعض الوقت لأن مدافع القلاع متحركة . السفن الإنجليزية الخشبية التى تغادر الميناء ستضرب طابية العجمى ( بجزيرة المرابط ) . السفينة تانجور وسفينة التلغراف ترسوان فى الميناء الخارجية ولكن من المؤكد أن هذه ستنقل البرقيات لأنها تحت إمرة الأميرال . البحارة والضباط فرحون جداً لفكرة الانتقام لمقتل زملائهم فى يوم ١١ يونية سنة ١٨٨٢ . الخديوى توفيق باشا باق على البر فى سراياه تحت خط النار تماماً وأعتقد أنه أول من أخبر بالأمر . وضعت سفينة المدفعية « كوندور » تحت تصرفه ولكنه رفض بكل شجاعة الانتقال إليها ورده هذا يحزننا وسيقتل بكل تأكيد على البر لأن عرابى باشا مغتاظ منه . وفى الدقيقة الأخيره أتى كثير من اللاجئين وسنقلع إلى البحر ونبقى به حتى الصباح حتى تبدأ المعركة .

إننى أتصورشعور عرابى باشا عندما لم أحضر فى المساء وعندما أبلغ أن الصراف قد اختفى بناء على أوامرى وأنه لن يجد بالجمارك إلا خزانة ( من طراز ملنر ) يحرسها حارسان ولا يمكن فتحها .

بدأ ضرب الاسكندرية فى الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ١١ يولية سنة ١٨٢٢ . ومن مكان رسو السفينة « تانجور » كان يمكن مراقبة هذه العملية بكل وضوح بالنظارات المقربة . وكان

المشهد رائعاً لمدنى مثلى لم ير من قبل حرباً . وسمعنا أولا دوى مدفع السفينة المدرعة ألكسندرا وهو إشارة البدء فى الهجوم ، فانطلقت المدافع من السفن الحربية الأخرى واشتبكت جميعها فى القتال . وشعرت بالاضطراب من تأثير الموقف وكنا نسمع الكثير ولا نرى إلا القليل، فأصوات المدافع كانت تدوى من السفن والقلاع ولا نشاهد إلا دخاناً وبعض قنابل المصريين وهى تخطئ أهدافها وتسقط فى البحر . وبالرغم من شدة الضرب بقى المصريون ملازمين لمدافعهم يطلقونها على السفن باستمرار . وظل الأسطول يواصل الضرب حتى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً حين أعطيت له إشارة بالتوقف . وأثبت هذا الضرب تفوق السفينة على القلعة فى القتال وهو المشكلة التى ناقشها طويلا العسكريون . فقد دمرت القلاع التى كانت تبدو شامخة فى الصباح ، فى حين كانت الخسائر التى لحقت بالسفن قليلة .

ولم ينقطع الضرب تماماً بعد الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً ، بل استمر متقطعاً حتى الساعة الخامسة مساء على بطاريات المدافع لأن المصريين كانوا لايزالون يشغلونها بكل شجاعة رغم عدم إلمامهم التام بذلك وحتى لايصلحوا الأضرار التى أصابتها وقبـل توقفت طابية المكس عن الضرب وأخلاها جنودها ولكن مدافعها كانت لم تزل قائمة فأرسلت إليها لإتلافها مجموعة من البحارة

( البريطانيين) تحت قيادة الملازم **لامبتون** ومعها الماجور **تولش**. وكان العمل الذى قامت به هذه المجموعة صعباً لأنه لم يكن من المؤكد أن هذه الطابية قد أخليت . كما وجب على هذه المجموعة السباحة للوصول إليها ، ولكنها كانت خالية فعلا ولم تلق بها مقاومة .

وكان أشجع أعمال الأسطول ( البريطانى ) التى نالت إعجاب الجميع – هو مهاجمة سفينة المدفعية الصغيرة « كوندور » بقيادة اللورد **برسفورد** لطابية العجمى القائمة بجزيرة المرابط وإسكاتها ؛ ومكافأة لها على عملها أبلغتها سفينة القيادة استحسانها بإشارة « حسناً ياكوندور » كما حيتها السفن الحربية الأجنبية بعزف السلام البريطانى.

ومضى المساء سريعاً وكانت غالبية القلاع قد أسكتت ، ولكن من آن إلى آخر كانت تنفجر مخازن الذخيرة ، وعندما خيم الليل بدأ القلق يساور من لهم أملاك بالمدينة لأن الحرائق اشتعلت بها واحدة بعد الأخرى حتى احمرت السماء من ألسنة النيران،وتوقعنا احتراق المدينة كلها . وكانت هذه الحرائق قد أشعلت عمداً ولم تكن ناتجة عن قذائف أو صواريخ أطلقت من السفن الحربية ( البريطانية ) .

وفى اليوم التالى ( وهو الأربعاء ١٢ يولية سنة ١٨٨٢) كان البحر هائجاً جداً ، ولهذا تقرر عدم مواصلة الضرب حتى لا تصاب منه المدينة . ولكن عند الظهر شاهد العدو ( المصريين ) يعملون فى بطاريات مدافع طابية رأس التين وهى بطاريات متحركة من طراز

مونكريف ترتفع مدافعها عند قاعدتها عند الضرب ثم تعود بعده إليها . ولم أفهم عما سيجنيه المصريون من مواصلة الدفاع اللهم إلا كسب الوقت حتى يتمكن عرابي باشا من سحب قواته أو إصابة إحدى السفن الحربية ( البريطانية ) بإصابة مباشرة في آخر الأمر ، وكان هذا في اعتقادي محتملا جداً . وبناء عليه فإن سفينتين حربيتين ( بريطانيتين) ضربتا هذه الطابية فرفعت علماً أبيض ثم أرسلت اليها سفينة المدفعية « بترن » لاستطلاع ما إذ كانت ترغب في التسليم ولكن بان أنها رفعت العلم الأبيض ليتمكن جنودها من الانسحاب منها بأمان . وقد انتهى الضرب عند هذا الحد وخاصة أنه اشتد هياج البحر فصار الضرب غير ممكن :

وبعد الظهر أتيح للأميرال سيمور الاتصال بالسفينة «تانجور» فأرسل إليها زورقاً من بحارة السفينة الحربية المدرعة « إنفنسبل » وانتهز القبطان مولينو هذه الفرصة فأرسل لي رسالة ومعها صندوق يحوى مستندات هامة جداً كنت قد عهدت به إليه وقال في رسالته ( صندوقك قد تعرض لضرب شديد غير متوقع من المصريين ، فقد أصيبت سفينتي الحربية خمس عشرة مرة وكانت القذائف مثيرة جداً ولكن لم يصب إلا ستة رجال ، جراح بعضهم جسيمة : ومن العجيب أن خسائرنا لم تزد عن ذلك ) : فلقد كانت خسائرنا قليلة حقاً :

وفى اليوم التالى ( وهو الخميس ١٣ يولية سنة ١٨٨٢ ) شوهد عدد من الناس مجتمعين على رصيف الجمارك ، وكشفت النظارات المقربة أنهم أوربيون فأرسلت إليهم زوارق لنقلهم إلى السفن .

وبينما كانت السفينة المدرعة « إنفنسبل » تستعد لدخول الميناء الداخلية ، أبلغت سفينتنا « تانجور » أنها سترسل سفينة مدفعية لنقل **موريس باشا** مدير الفنارات المصرية ، **وموريس بك** مفتش عام خفر السواحل المصرية ، **وكوسل** القائم بأعمال مدير عام الجمارك المصرية ( وكلهم بريطانيون وآخرهم هو المؤلف ذاته) لمقابلة الأميرال **سيمور** . وقد نقلتنا فعلا سفينة المدفعية « سوجنت » بعد أن تسلقنا بالحبال إليها لهياج البحر ، ومرت بنا على طوابى ترفع الأعلام البيضاء غير أن بحارة هذه السفينة استعدوا لإطلاق النار على هذه الطوابى فيما لو بادرتنا بإطلاق النار ، ولكن ذلك لم يحصل واستقبلنا الأميرال **سيمور** على ظهر السفينة الحربية المدرعة « إنفنسبل » ، وطلب إلينا أن نعد ما يلزم لإعادة انتظام الأعمال التى نتولاها وإعـــداد منشورات باللغة العربية وبلغة أوربية لتوزيعها عند نزول قواتنا إلى البر بالاسكندرية وفى هذه الأثناء أبلغ الأميرال **سيمور** بوصول السفينة الحربية المدرعة « أورنتس » ، فأمرها بأن تدخل الميناء الداخلية وتنزل إلى البر جنود البحر ولكنها أجابت بأنه ليس على ظهرها جنود بحر لأنها أنزلتهم فى مالطة ، فأمرها بالعودة إليها فوراً وإحضارهم منها .

وبالرغم مما وقفنا عليه من الأوربيين الذين كانوا على رصيف الجمارك ، فلم يكن معروفاً تماماً ما يجرى فى المدينة . ورأى الأميرال سيمور ضرورة معرفته فأرسل قوة من بحارته فى زورق بخارى رافقها تطوعاً المستر جون روس وهو صديق ( بريطانى ) لى يقيم بالاسكندرية ويعمل بها مقاولا بحرياً وكان على ظهر السفينة الحربية المدرعة « إنفنسبل » وقت الضرب . وتوجه الزورق البخارى إلى رصيف الجمارك ونزل منه روس وتجول فى المدينة حوالى ربع الساعة ثم عاد وأخبر أن المنطقة الواقعة حول الجمارك خالية وأن الحرائق منعته من التوغل فى الشوارع بالمدينة . كما أبلغ عن معلومات هامة ولكنه لم يكافأ بعدئذ على كل ذلك .

وفى ذات يوم الخميس ١٣ يولية سنة ١٨٨٢ أنزل الأميرال قائد الأسطول الأمريكى بمياه الإسكندرية إلى البر بها قوة قوامها مائة وخمسون من البحارة وجنود البحر الأمريكيون بقيادة الكوماندور جودريش ، ولكن الذى تولى تحريكها كان الكولونيل شايه لونج وقد أمرها باحتلال القنصلية الأمريكية ، كما أنها قدمت مساعدة كبيرة فى إعادة النظام ومنع النهب وإطفاء الحرائق .

وقيل إن نزول القوات الأمريكية إلى البر بالاسكندرية هو الذى أجبر الأميرال سيمور على إنزال قواته البريطانية إلى البر بها أيضاً وعلى أى حال فإن قوات البحارة وجنود البحر البريطانية

لم تنزل إلى البر بها إلا بعد أربع وعشرين ساعة ( أى فى يوم الجمعة ١٤ يولية سنة ١٨٨٢ ) ، واحتلت سراى الحقانية وهى مبنى محكمة الاستئناف المختلطة الواقع على رأس ميدان المنشية بعد مفاوضات مع الكولونيل الأمريكى شايه لونج وهو صديق قديم لى عرفته منذ سنة ١٨٧٠ حين أتى من أمريكا والتحق بالجيش المصرى ، وكان فى وقت ما رئيساً لأركان حرب الجنرال ( البريطانى ) جوردون باشا فى المديرية الاستوائية* .

وفى يوم الجمعة ١٤ يولية سنة ١٨٨٢ هذا دخلت سفن الأسطول البريطانى الأخرى إلى الميناء الداخلية ونزلت منها فورا قوة من البحارة وجنود البحر البريطانيين واستولت على سراى رأس التين ، وفى نفس اليوم وصل إلى هذه السراى الخديوى توفيق باشا من سراى الرمل التى كان مقيما بها وقت الضرب . وقد نجا بأعجوبة من اغتيال الجنود ( المصريين ) له فإن وجوده على البر بينهم وهم معادون له عرضه لخطر الموت وأثبت شجاعته ، وأعتقد أنه تمكن من الفرار برشوة بعضهم لحمايته .

ونزلت أنا إلى البر مع مجموعة من جنود البحر البريطانيين

* لم تتصل خدمة الكولونيل الأمريكى شاية لونج بمصر منذ سنة ١٨٧٠ حتى سنة ١٨٨٢ كما قد يبدو من ظاهر النص ، فقد غادر مصر فى سنة ١٨٧٧ لإستقالته من الجيش المصرى ثم عاد إليها فى آخر سنة ١٨٨١ ليعمل محامياً بالاسكندرية بعد حصوله على شهادة فى الحقوق من أمريكا . ( الناشر )

وعاينا آثار الضرب على القلاع ثم عاينا آثار تخريب الرعاع للمدينة وكانت الأولى مفهومة ومثيرة للإعجاب فى حين أن الثانية كانت مزعجة ومثيرة للشفقة وذلك لأن ما فعلته السفن كان عملا حربياً بقوة أسلحة العلم الحديث ، وأما التخريب فكان نتيجة لطبيعة الشر الكامنة فى البشر * وكان من الصعب فهم مغزى تعمد التخريب وشمول الدمار والنهب والحريق أماكن كثيرة لحد أن كانت الشوارع مكدسة بالخرائب والقمامة والحوائط الآيلة للسقوط المهددة للمارة ، فضلا عن الجثث وأسلاك التلغراف المقطعة والأشياء المحطمة وكانت الحرائق لم تزل مشتعلة فى بعض المنازل ويتصاعد منها الدخان وعموما كان المشهد مؤلما لمحبى الاسكندرية . وقد تدمر تماماً ميدان المنشية مفخرتها ولم يبق من القنصليتين الفرنسية والإيطالية إلا قليل من حوائطهما وأما القنصلية البريطانية فقد تخربت تماماً من الداخل :

وتوجهت إلى مسكنى لأقف عما جرى به بمجرد أن أتيحت لى الفرصة لذلك لأننى كنت مشغولا جداً ، فوجدت كل شئ محطما أو منهوباً ، فتركته وتوجهت إلى الإسطبل حيث وجدت سائق عربتى الإيطالى جيوفانى وشخصاً مصرياً متحصنين به ، فأخبرتهما أن كل شئ قد انتهى ، كما وجدت فرستى « بسى » سليمة وقد صحبتهما ( جيوفانى وبسى ) معى فيما بعد إلى إيطاليا :

* لاحظ التحيز الظاهر فى هذه المقارنة وتمييزها عن نظرة المؤلف الاستعمارية ( الناشر )

## ٤ ـ من مذكرات كوسل بك

### ● القسم الثالث

لما سحب عرابى باشا قواته من الاسكندرية ، سرح بعضها ولم أفهم ذلك أبداً ، ولعله اعتقد أن قواته غير مخلصة له تماماً . وقد فعل الجنود المسرحون ماتوقع منهم فعله وهو النهب إذ انحلوا انحلالا تاماً وانضموا إلى البدو الذين قدموا إلى هذه المدينة للسلب وإلى المجرمين الذين أطلقوا من السجون . فتكونت من مجموعهم قوة خطيرة جداً هى التى خربت المدينة ولم تكتف بنهب كل منزل ومحل بالحى الأوربى بل سكبت عليها الغاز وأشعلت فيها النار وكانت الخسائر جسيمة إذ قدرت بعدة ملايين من الجنيهات ، وقيل إن عدد القتلى بلغ خمسمائة أو ستمائة . ولأسباب مختلفة لم يغادر المدينة كل الأوربيين ، بل بقى بعض منهم فى البنك الإنجليزى المصرى وفى بنك الكريدى ليونيه ، وفى البنك العثمانى يدافعون عنها ثم كانوا ضمن اللاجئين الذين انقذوا أخيراً من رصيف الجمارك :

وكنت أتوق لمعرفة ما حدث فى الجمارك فتوجهت إليها مع بحارة أحد الزوارق الحربية البريطانية الذين وضعوا تحت أمرى فوجدت الأبواب والنوافذ الخارجية والداخلية محطمة وقضبانها

الحديدية مخلوعة والحيطان ملوثة بالدماء ، ولكنني وجدت الخزانة الرئيسية سليمة غير أنني لكى أطمئن عليها قررت فتحها للتأكد من أن الأموال التي أودعتها فيها لم تزل بها ولم يستول عليها عرابى باشا إذ قد يكون عثر على الصراف ، فأحضرت من مكتبي المفتاح الاحتياطى لهذه الخزانة وفتحتها فعلا فوجدت بها هذه الأموال كما هي ، فأمرت بنقلها إلى السفينة « تانجور » وتم نقلها إليها فأخليت مسئوليتي عنها :

وحاولت تكوين هيئة من الموظفين لإدارة الجمارك المصرية ولكن الحالة لم تكن مطمئنة لأن عرابى باشا كان يحشد قواته على خط السكة الحديدية وترعة المحمودية على مسافة عشرة أميال فقط من الاسكندرية . ولاحتمال عودة عرابى باشا والتجائنا من جديد إلى السفن فإن الوضع لم يستقر إلا عندما وصل من مالطة الجنرال أرشيبالد أليسون مع جنود البحر والقوات البرية البريطانية :

ثم راجت إشاعة عن أن عرابى باشا سيقطع المياه من ترعة المحمودية عن الاسكندرية وهي التي تغذيها بها ، فصدرت الأوامر بملء الخزانات بالمياه وتخزينها بقدر الإمكان ، وبالإضافة لهذه الإجراءات المؤقتة قام جنود البحر البريطانيون ينقبون عن الماء فى أنحاء المدينة بأجهزة خاصة ، وقد عثروا على الماء فى عدة أماكن ضمنها قطعة أرض صغيرة أمتلكها فى الأنفوشى .

وعهد بإعادة النظام فى المدينة إلى اللورد **شارلس برسفورد** ووضعت تحت إمرته قوة صغيرة من البحارة وجنود البحر البريطانيين ومن الجنود المصريين المنزوعى السلاح كلفت بالقيام بأعمال الشرطة .

واتخذ اللورد **شارلس برسفورد** مقره فى سراى الحقانية مقر محكمة الاستئناف المختلطة بميدان المنشية ، وكان يجلس أمامها إلى منضدة صغيرة ومعه مساعده الملازم **براد فورد** ، حيث كانا يتوليان المحاكمات الميدانية المستعجلة ( أى التى تجرى بميدان القتال حال نشوبه وكنت أحيانا أساعدهما بالقيام بالترجمة عند محاكمة المتهمين المقبوض عليهم متلبسين بقتل المسيحيين أو وضع النار فى المنازل . وكانت الأحكام بالإعدام تنفذ فوراً وعلنا فى المحكوم عليهم بعد ربطهم فى شجرة بوسط هذا الميدان وبعد حفر قبورهم أمامهم . إن هذا يبدو فظيعاً بلا شك ولكنه الوسيلة المناسبة لمعاملة المجرمين ، أما العطف عليهم فهو آفة حضارتنا الغربية ولابد من التخلص منه فى بضع عشرات من السنين إذا أردنا أن نحافظ على بقائنا أمة عظيمة . ولهذا فإننى أعتقد أن هذه الإعدامات كانت عادلة والوسيلة الوحيدة الصالحة لمعالجة الحالة * وبهذه المناسبة أذكر

---

* لاحظ التحامل الظاهر فى هذا الرأى وتعبيره عن نظرة المؤلف الاستعمارية ( الناشر )

مناقشة دارت بين مؤيد ومعارض لما فعله الألمان برجال العصابات الفرنسيين فى الحرب الفرنسية البروسية (سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١) وأن هذه المناقشة لم تسفر عن نتيجة .

وكانت الأحوال فى الاسكندرية سيئة جداً لأنها كانت مليئة باللصوص وبالجدران التى تنقض وقد قام جنود البحر الأمريكيون بخدماتهم فى حماية الممتلكات والمساعدة فى إعادة النظام كما فعلت ذلك قوة من المتطوعين بقيادة القبطان برسكو من السفينة « تانجور » وقد نسيت أن أذكر أن هؤلاء الأمريكيين كانوا يحرسون ميدان المنشية عند تنفيذ أحكام الإعدام فيه .

وخشية من عودة عرابى باشا ، حطمت بالمفرقعات خزانة أخرى بالجمارك كانت مقفلة وأخرجت منها خمسة وعشرين ألف جنيه ذهباً . وقد تعرفت بالاسكندرية بملبتون برايور مراسل مجلة « اللستريتد لندن نيوز » (أخبار لندن المصورة) المعروف الذى كان وقت الضرب على ظهر السفينة الحربية المدرعة ألكسندرا ، وكذلك بينت بورليا مراسل صحيفة سنترال نيوز ثم صحيفة الديلى تلغراف ، وصارا من أعز أصدقائى . كما تعرفت أيضا باللورد كتشنر الذى كان وقت الضرب على ظهر السفينة الحربية المدرعة

إنفسنبل، وكان عندئذ ضابطاً صغيراً ولعلى أول من قابله من موظفى الحكومة المصرية* :

ورافقت أنا وموريس بك قواتنا المسلحة البريطانية عند احتلالها الرمل ( فى يوم ٢١ يولية سنة ١٨٨٢ ) ، وراقبنا سير القتال من « برج بولكلى** » وهو سطح منزل التاجر البريطانى بولكلى الذى كان خالياً :

وبعد انتهاء الحرب وفى شهر أكتوبر سنة ١٨٨٢ ، أنعم على الخديوى توفيق باشا بلقب بك مكافأة لى ، على خدماتى كما أخبرنى الأميرال سيمور أنه أبلغ عن أننى كنت ممن خدموا الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا فى فترة الحرب :

وأرسلت إلى القبطان مولينو أسأله عما إذا كان قد تلقى تقديراً لما فعله عندما قام بأعمال القنصل البريطانى فى الاسكندرية ، فأجابنى

---

* من المعروف أن اللورد كتشنر عمل فيما بعد طويلا فى مصر ، فقد قاد الحملة المصرية البريطانية لإسترداد السودان سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٨ باعتباره سردار أى قائد الجيش المصرى ، ثم عين معتمداً بريطانيا فى مصر سنة ١٩١١ حتى سنة ١٩١٤

** يقع بحى بولكلى أوستانلى المعروف بالرمل على ساحل البحر بالاسكندرية

بخطابه المؤرخ فى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٨٢ أنه لم يتلق تقديراً رغم
أنه كان فى ليلة ١٢ يونية سنة ١٨٨٢ وبصفته قائماً بهذه الأعمال
قد تولى جميع الاتصالات التى جرت مع السلطات المصرية وقناصل
الدول الأجنبية :

## ٥ — هوامش للناشر على مذكرات كوسل بك

(١) بعد إخماد الثورة العرابية وفى عهد الاحتلال البريطانى لمصر الذى تلاها ، ثبتت صحة نبوءة موريس بك هذه ، فقد روى كوسل بك ذاته فى موضع آخر من مذكراته أنه أجبر على ترك خدمة الحكومة المصرية لإلغاء وظيفته بالجمارك وهى المفتش العام بحجة الوفر ، فى حين أنه أنشئت بعدئذ بهذه المصلحة وظيفة جديدة هى نائب المدير العام تعتبر فى الواقع إحياء للوظيفة الملغاة التى كان يشغلها وأعطى لشاغل هذه الوظيفة الجديدة ضعف مرتبه السابق كما ذكر المؤلف كوسل بك فى موضع ثالث من مذكراته نقلا عن كتاب صديقه ألفريد جاروود الموظف البريطانى السابق بالسكة الحديدية المصرية ( أربعون عاماً من حياة مهندس ) إنه قبل الاحتلال البريطانى المصرى ، كان المصريون يقدرون الإنجليز ويضربون المثل باستقامتهم حتى كان المثل المصرى يقول ( كلام الإنجليز ، كلام دغرى ) ولكن بعد هذا الاحتلال تغيرت الأمور وفقد الإنجليز تقدير المصريين لهم . وأنه كان من أسباب ذلك عدم ثقة ممثلى الاحتلال البريطانى لمصر بالمصريين الذين كانوا يشغلون بها المناصب الهامه من قبل هذا الاحتلال ، بل واعتقاد هؤلاء الممثلين أن أولئك جميعاً ملوثون تم استبدالهم وإحلال محلهم موظفين إنجليز ليست لهم خبرة . ويسوق على ذلك مثل تعيين كاتب بريطانى بسيط غير مؤهل بمكتب البريد البريطانى بمصر — مديراً عاماً للبريد المصرى ثم مديراً عاماً للجمارك المصرية بمرتب سنوى قدره ألفى جنيه ، وأقول تعليقاً على هذه السياسة أنها ليست تخبطاً بل مرسومة إذ هى تطبيق للمبدأ المعروف ( أهل الثقة مقدمون على أهل الخبرة )

(٢) ألف القبطان رتشارد مولنيو كتابه ( المحاربة فى جنوب أفريقيا

ومصر ) المطبوع باللغة الإنجليزية فى لندن سنة ١٨٩٦ ، وتضمن مذكراته عن الثورة العرابية .

(٣) القائمقام سليمان سامى داود بك هو قائد الالآى السادس المصرى بالإسكندرية ، وقد أعدم فى يوم ٩ يونية سنة ١٨٨٣ إثر محاكمته عسكرياً وإدانته من تهمة إحراقه الاسكندرية أثناء الثور العرابية قبل هذا التاريخ بثلاثة أيام وذلك بعد أخماد هذه الثورة

(٤) الجنرال شارلس ستون باشا هو ضابط أمريكى اشترك فى الحرب الأهلية الأمريكية ( سنة ١٨٦١ - سنة ١٨٦٥ ) ثم عمل متطوعاً بالجيش المصرى منذ سنة ١٨٧٠ وعين رئيساً لأركان حربه (سنة ١٨٧١ - سنة ١٨٨٣) فكان لم يزل يشغل هذا المنصب طوال زمن الثورة العرابية (سنة١٨٨١ - سنة ١٨٨٢ ) وفى أثنائها لحق بالخديوى توفيق باشا بالاسكندرية فى يوم ٦ يولية سنة ١٨٨٢ ولازمه حتى انتهائها ، فى حين بقيت زوجته وبناته الثلاثة بالقاهرة حتى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٢ حين سمح لهن عرابى باشا بمغادرتها بقطار خاص إلى الإسماعيلية ومنها سافرن إلى الإسكندرية وقدغادر الجنرال ستون باشا مصر نهائياً بعد إنتهاء هذه الثورة وإثر عودته إلى أمريكا كلف بتصميم وتنفيذ مشروع إقامة قاعدة تمثال الحرية بمدخل ميناء نيويورك فقام بذلك فعلا فىسنة ١٨٨٦ثم توفى فىالعام التالىأى فىسنة ١٨٨٧ وله مذكرات عن الثورة العرابية لا توجد إلا فى ترجمة إسبانية مطبوعة فى هافانا بكوبا فى سنة ١٨٨٤ ، كما أن لابنته الآنسة فانى مذكرات عن الثورة العرابية عن هذه الثورة نشرت فى مجلة أمريكية صادرة فى سنة ١٨٨٤ أيضاً .

(٥) السير أو كلاند كولفن المستشار المالى البريطانى للحكومة المصرية هو أيضاً مؤلف كتاب صنع مصر الحديثة المعروف ، المطبوع باللغة الانجليزية فى لندن ونيويورك فى سنة ١٩٠٩

(٦) الجنرال البريطانى شارلس جوردون باشا عمل فى خدمة الحكومة المصرية بالجيش المصرى حاكماً للمديرية الاستوائية فى سنة ١٨٧٣ – ١٨٧٦ وبعد ثم حاكماً لكل السودان . فى سنة ١٨٧٧ – ١٨٨٠ ثم فى سنة ١٨٨٤ – ١٨٨٥ وقد قتل فى السنة الأخيرة عند سقوط الخرطوم العاصمة السودانية فى بد الثورة المهدية

## ٦ — بحث للناشر عن محاولة انزال القوات البريطانية الى الاسكندرية في ليلة ١٢ يونية سنة ١٨٨٢

تضاربت الروايات بشأن تصرف الأمير سيمور قائد الأسطول البريطاني بمياه الاسكندرية بعد مذبحة الاسكندرية التي وقعت في يوم ١١ يونية سنة ١٨٨٢ ، في خصوص أمره بإنزال البحارة البريطانيين من هذا الأسطول إلى البر بها وماتم في تنفيذه ، ولهذا ينبغي سرد هذه الروايات ثم استخلاص ، ماوقع فعلا منها جميعا

فقد ذكر الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في كتابه « الثورة العرابية والاحتلال البريطاني » طبعة أولى بالقاهرة في سنة ١٩٣٧ في الصفحة ٣٠٣ ( اجتمع القناصل مساء يوم الحادثة ( أى المذبحة وكان بينهم القبطان مولينو من ضباط الدارعة الإنجليزية إنفنسبل » وقد عهد إليه الأميرال سيمور أن ينوب عن مستر كوكسن في إدارة القنصلية ( البريطانية ) عقب إصابته في الحادثة — وحضر الاجتماع محافظ الاسكندرية وتداولوا فيما يجب اتخاذه لإعادة النظام وتهدئة الخواطر فصرح كبار ضباط الجيش ( المصرى ) أنهم متكفلون بحفظ الأمن على ألا يتدخل الأسطولان ( البريطاني والفرنسي ) في الأمر : فطلب القناصل من قائدى الأسطولين ألا يتخذا تدابير ظاهرة : ولكن بعض الزوارق الإنجليزية شوهدت في منتصف

الليل قادمة من إحدى بوارج الأسطول ترسو على شاطئ الميناء الشرقية . وكان مجيئها تنفيذاً لتعليمات الأميرال سيمور الذى أصدر أمره بأن تخرج البارجة «سوبرب» من الميناء الغربية وترسو خارج الميناء الشرقية ، وأن ترسل بعض الزوارق الإنجليزية إلى البر لنقل النساء والأطفال إلى البارجة فاعترض الضباط على هذه الوسيلة إذ رأوا فى حضور الزوارق الإنجليزية إلى البر مايدعو إلى هياج الجمهور والجنود ، فوعد نائب القنصل البريطانى بإبعاد الزوارق عن البر وانفض الاجتماع الأول عن ذلك :

ولم توضح هذه الرواية مكان الاجتماع ومدته إنما يفهم منها أنه كان بالقنصلية البريطانية وأنه دام حتى صدور وعد القبطان مولينو ، ويفهم منها أيضا أن القناصل طلبوا ما طلبوه من قائدى الأسطولين البريطانى والفرنسى من قبل أن تكون قد صدرت منهما بادرة تدل على اعتزامهما إنزال قواتهما إلى البر . ثم فوجئوا بالزوارق البريطانية تقترب من البر فى الميناء الشرقية . ولم توضح هذه الرواية أيضاً كيف نفذ القبطان مولينو وعده رغم تضمنها أن هذه الزوارق قد رست بالبر فعلا :

وأبان الأستاذ عبد الرحمن الرافعى أنه إستقى معلوماته هذه التى رواها من رسالة قنصل فرنسا بالاسكندرية إلى وزير خارجية

فرنسا وهى المستند رقم ٤٥ بالكتاب الأصفر الفرنسى لسنة ١٨٨٢ عن مصر . وفيه أن هذا القنصل قال فى رسالته هذه ( حصل اجتماع بين القناصل — لم يوضح مكانه وزمانه وإن كان يفهم من سياق كلامه أنه كان بالقنصلية البريطانية بعدالساعة السادسة والنصف مساء — لما بان أن الجيش ( المصرى ) لن يحفظ النظام إذ تحرك الأسطولان ( البريطانى والفرنسى ) وأخطر الأميرالاى بعدم اتخاذ إجراءات ظاهرة وفى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلا أخبرتنى مجموعة من الضباط المصريين على رأسها القائمقام **سليمان سامى داود بك** بأن الإنجليز نزلوا إلى البر خلف القنصلية ( الفرنسية ) فقلت لهم إنهم مخطئون وذهبت معهم ومع عدد كبير من الجنود إلى شاطئ البحر حيث شاهدنا فى الظلام بعض الزوارق راحلة وأكدت للقائمقام أن حضورها كان عن غلط لأن البارجة التى تسلمت فى الساعة الرابعة مساء أمراً بنقل النساء والأطفال تسلمت بعدئذ أمراً مضاداً . ومن هناك ذهبنا ومعنا المحافظ إلى القنصلية البريطانية حيث أكدوا لنا ذلك فاطمأن الضباط ( المصريون )

وذكر الأستاذ **خليل سليم نقاش** « فى كتابه مصر للمصريين المطبوع بالاسكندرية فى سنة ١٨٨٤ بالجزء الخامس بالصفحة ٨ نقلا عن رسالة **كالفرت** نائب قنصل بريطانيا بالاسكندرية إلى ماليت قنصلها العام بمصر ( أصدر الأميرال **سيمور** أمره إلى البارجة

سوبرب أن تخرج من البحر وترسو خارج الميناء الشرقية القديمة على عزم أن يرسل إلى الشاطئ بعض الزوارق لنقل النساء والأولاد إلى البارجة وقد وافق المحافظ وبعض القناصل على ذلك — إلا أن المحافظ عاد إلى القنصلية بعد برهة وأبى الموافقة على الرأى السابق بمقولة إن اعتماد هذه الطريقة يبعث الجهادية ( الجنود ) على الهياج . فرجعت الزوارق على إثر ذلك إلى حيث كانت ، وتقرر أن ترسو البارجة سوبرب على مسافة بعيدة عن الميناء .

ثم ذكر فى الصفحة ٩ من ذات الجزء بكتابه هذا نقلا عن مضبطة الاجتماع الذى عقده وكيل وزارة الحربية ووكيل وزارة الحقانية ( المصريتين ) ومحافظ الاسكندرية فى اليوم التالى وهو يوم ١٢ يونية سنة ١٨٨٢ — والتى حررها **شكرى خورى** ترجمان القنصلية البريطانية بالاسكندرية ( فى الساعة السابعة من صباح هذا اليوم عقدت الجمعية وافتتحها محافظ المدينة بملخص ماجرى أمس بينه وبين القنصلية الإنجليزية وبعض القناصل الذين كانوا من حضور الجمعية التى عقدت فى الليل الماضى ثم صرح بما اتخذه من التدابير والوسائل لإعادة الأمن والراحة بعد ذلك . وبعد ذلك قال إن القبطان موليتو وإن كان قد وعد بالأمس بأن يأمر بعدم دنو زوارق البوارج الإنجليزية من الشاطئ دفعاً لأسباب هياج الجهادية إلا أن بعض الزوارق قد اقتربت فى الساعة الخامسة من صباح هذا

اليوم خلافاً للوعد . فأجاب القبطان مولينو أنه أرسل إلى الأميرال سيمور على إثر رجاء المحافظة وطلبه ، كتابة يرجوه أن يصدر أمراً بابتعاد الزوارق عن الشاطئ إلا أن المواصلات لم تكن متيسرة فى الليل ولذلك تأخر تنفيذ الأوامر اللازمة . ثم قال إن القصد من إرسال الزوارق كان مبنياً على غاية نقل النساء والأولاد الذين استولى عليهم الرعب فى اليوم الماضى ) .

وقد نقل الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه المذكور بالصفحتين ٣٠٦ و٣٠٧ ماجاء بهذه المضبطة وضمنه خبر اقتراب الزوارق البريطانية من بر الاسكندرية فى الساعة الخامسة من صباح يوم ١٢ يونية سنة ١٨٨٢ ، دون تعليق على هذا الوقت الذى يخالف الذى حدده من قبل لهذا الاقتراب وسبق له ذكره بالصفحة ٣٠٣ وهو منتصف الليل .

وذكر الأستاذ البريطانى شارلس رويل فى كتابه الحملات المصرية سنة ١٨٨٢ — ١٨٨٥ المطبوع باللغة الإنجليزية فى جزءين بلندن فى سنة ١٨٨٦ بالطبعة الأولى بالجزء الأول بالصفحات ١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ ( بعد الحادثة تمت اتصالات تليفونية بين القنصلية البريطانية وبين الأميرال سيمور الذى كان على ظهر المدرعة هيلكون ويبدو أن الفكرة الأولى لدى الأميرال كانت إنزال قوة مسلحة ( بريطانية) إلى البر لحماية الأوربيين ، لأنه فى الساعة ٥,٣٢ مساء أعطت

هذه المدرعة إشارة عامة للأسطول ( البريطانى ) لإنزال زوارق مسلحة ، ولكن هذا الأمر ألغى بعد خمس دقائق نظراً للخطر الذى سيتعرض إليه الأوربيون لكون الإنزال سيعتبر عملا عدوانياً ويوحد الجنود ( المصريين) والجمهور لقتلهم . واجتمع قادة السفن البريطانية على سفينة القيادة وقرروا أن الوسيلة الوحيدة المتاحة هى إرسال بعض الزوارق حول رأس التين إلى الميناء الشرقية تحت حماية مدافع المدرعة « سوبرب » لتكون مستعدة لنقل اللاجئين إلى القنصلية البريطانية .... واتفق على أن تتخذ هذه المدرعة مكانها بالميناء الشرقى على مقربة من الحى الأوربى وأن تجهز قوة من البحارة و جنود البحر البريطانين لتنزل فوراً بالزوارق إلى البر قرب « مقهى الفردوس » بقدر الإمكان لتنقل من المدينة جميع النساء والأطفال ( الأوربيين ) الذين تجدهم ، على ألا تنزل هذه القوة إلى البر إلا عند الحاجة وبناء على إشارة ضوئية تعطى منه وأن عليها أن تتوجه إلى القنصلية البريطانية .

وتولى القبطان مولينو إدارة القنصلية البريطانية لإصابة المستر كوكسن واتصل فوراً بمحافظ الاسكندرية الذى حضر إليه مع باقى القناصل . ولما أبلغ المحافظ فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة مساء بالترتيبات المذكورة ، طلب عدم إرسال الزوارق لأن ظهورها سيثير الجنود ( المصريين) ولكون الاضطرابات قد قضى عليها ولأنه

يضمن سلامة الجميع . وتقديراً لهذه الظروف طلب القبطان مولينو ( من الأميرال سيمور ) تغيير هذه الترتيبات . وانقضت الليلة دون إنذار حتى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء حين وقع حادث كاد أن يؤدى إلى كارثة وذلك أن أحد الزوارق التابعة للمدرعة سوبرب أخطأ إذ توهم أن ضوءاً ساطعاً صدر من البر هو الإشارة الضوئية المتفق عليها للنزول إليه ، فرد بإشارة ضوئية زرقاء كشفت عن وجوده الذى كان يخفيه الظلام . وسرعان ما أطلق النفير بالإنذار فى المدينة كلها واندفع الجنود إلى الشاطئ وظهرت صحة مخاوف المحافظ فيما لو نزلت القوة البريطانية إلى البر . وصار الوقت ثميناً . وأرسل القبطان مولينو أمراً إلى آمر الزوارق بالتوارى عن الأنظار وتطوع موريس بك المدير البريطانى لخفر السواحل المصرية لتنفيذ هذا الأمر معرضاً نفسه للخطر ومستقلا قارباً صغيراً، ولكن قبل أن يتصل بآمر الزوارق كان قد وصل لهذا الآمر أمر ( من الأميرال سيمور ذاته) بالعدول عن الترتيبات السابقة فسحب زوارقه . ولما لم يظهر أى دليل على نزول قوات ( أجنبية ) إلى البر انسحب الجنود ( المصريون) إلى مراكزهم ، ولكن المحافظ أتى ثانية إلى القنصلية البريطانية للاحتجاج وللقول بأنه غير مسئول إذا مانزلت قوات ( أجنبية ) من الزوارق . ثم انقضت الليلة دون حادث آخر وكان الجنود المصريون أثناءها يحرسون القنصليات ويرابطون عند تقاطع الشوارع الرئيسية ) .

والذى يستخلص من كل هذه الروايات أن الحوادث تسلسلت كما يلى :

أولا — وصل القبطان مولينو إلى القنصلية البريطانية بالاسكندرية فى حوالى الساعة ٤,٣٠ من مساء يوم ١١ يونية سنة ١٨٨٢ ، وما لبث أن تولى القيام بأعمالها بناء على أمر ( تليفونى ) من الأميرال سيمور وأنه هو الذى أبلغه ( تلفونياً ) بحصول مذبحة الاسكندرية وقد تم هذا البلاغ وذلك الأمر من خلال الاتصال التليفونى الذى تم بين الطرفين .

وثانياً — بناء على ذلك اتخذ الأميرال سيمور قراره الأول وهو إنزال قوات بريطانية إلى الاسكندرية لحماية الأوربيين وأبلغه لسفنه فى الساعة ٥,٣٢ مساء ، ثم عدل عنه بعد خمس دقائق واستدعى قباطنة سفنه إلى اجتماع عقدوه معه بسفينة القيادة وبناء عليه اتخذ قراره الثانى وهو إرسال السفينة الحربية المدرعة « سوبرب » إلى الميناء الشرقية وإعداد زوارق محملة بالبحارة البريطانيين تحت حماية مدافعها للنزول إلى البر عند « مقهى الفردوس » وهو أقرب مكان إلى القنصلية البريطانية لنقل النساء والأطفال اللاجئين إليها وإنقاذهم بشرط ألا ينزل البحارة البريطانيون إلى البر إلا بعد تلقيهم إشارة ضوئية خاصة بالنزول إليه . وفى حوالى الساعة الثامنة مساء اتصل الأميرال سيمور تليفونيا بالقبطان مولينو بالقنصلية البريطانية

وأبلغه باتخاذ هذا القرار الثاني والبدء فى تنفيذه للاستعداد لإعطاء الإشارة الصوتية لاستقبال الزوارق .

وثالثا — وبعد ذلك وفيما بين الساعة الثامنة والتاسعة مساء حضر محافظ الاسكندرية وقناصل الدول الأجنبية إلى القنصلية البريطانية بناء على طلب القبطان موليتو فأخبرهم بما قرره الأميرال سيمور فلم يعترض أحد منهم أول الأمر ، وغادر المحافظ القنصلية البريطانية ثم عاد إليها بعد فترة وجيزة واعترض على القرار المذكور وانضم القناصل إليه فى اعتراضه كما أقره عليه القبطان موليتو نفسه خشية من العواقب التى ستترتب على نزول قوات مسلحة بريطانية إلى البر بالاسكندرية . واتصل القبطان موليتو بالأميرال سيمور تليفونياً وطلب إليه العدول عن قراره الثانى لما تقدم ، فاستجاب له وأصدر قراره الثالث متضمناً أمراً مضاداً للزوارق بالعودة ، كما طلب قنصل فرنسا من قائد أسطولها عدم إنزال قوات فرنسية إلى البر بالاسكندرية . وهذا هو اجتماع القناصل الذى أشار إليه قنصل فرنسا فى رسالته إلى وزير خارجيتها وذكره الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وأسماه بالاجتماع الأول . وقد انعقد على ماتقدم — بالقنصلية البريطانية بالاسكندرية وانفض بعد تحقق هدفه .

ورابعاً — أرسل الأميرال سيمور إلى آمر زوارقه أمر المضاد بالعودة ، كما أنه خشية من تأخر وصول هذا الأمر المضاد إليه

فقد أرسل القبطان **مولينو** من جانبه **موريس بك** لكى يبلغ آمر هذه الزوارق بهذا الأمر المضاد ، إلا أنه رغم تأخر وصول هذا الأمر المضاد إليه من جانبى كل من الأميرال **سيمور** والقبطان **مولينو** فإنه لم تنزل القوات البريطانية إلى البر لأنه كان مقرراً طبقاً للأمر بالنزول السابق الملغى ألا تنزل هذه القوات إلى البر إلا بناء على إشارة ضوئية تعطى لها منه ، كما لم يلاحظ الجنود المصريون وجود هذه الزوارق قريبة من الشاطئ بسبب الظلام .

وخامساً — فى حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء توهم أحد الزوارق أنه رأى الإشارة الضوئية المتفق عليها بالنزول إلى البر تصدر منه فرد عليه بإشارة ضوئية زرقاء وكشفت عن وجود هذه الزوارق كما أنها أخذت تقترب من البر ولكنها لم تصل إليه . وعندئذ هاج الجنود المصريون وتوجهوا إلى قنصل فرنسا الذى ذهب معهم إلى الشاطئ لمعاينة مايجرى أمامه ثم توجه مع محافظ الاسكندرية للاحتجاج وللمطالبة بتنفيذ وعد القبطان مولينو بعودة الزوارق . وفى هذه الأثناء وصل إلى آمر الزوارق من الأميرال **سيمور** أمره المضاد بالعودة ثم وصل إليه بعدئذ **موريس بك** مؤكداً صدور هذا الأمر المضاد فعاد بزوارقه . ثم توجه **موريس بك** إلى القنصلية البريطانية وأخبر بعودة الزوارق فعلا ؛ وعندئذ انصرف منها محافظ الاسكندرية ومرافقوه :

وسادسا – لم تحصل محاولة ثانية لإنزال قوات بريطانية من الزوارق فى الساعة الخامسة من صباح يوم ١٢ يولية سنة ١٨٨٢ على نحو ما أثبت بمحضر الاجتماع الذى عقده فى الساعة السابعة من صباح اليوم المذكور بمحافظة الاسكندرية وكيل وزارة الحربية ووكيل وزارة الحقانية المصريتين ، ومحافظ الاسكندرية ، وقناصل الدول وضمنهم القبطان مولينو – والذى أسماه الأستاذ **عبد الرحمن الرافعى** بالاجتماع الثانى . ويبدو أن ذلك مجرد خلط أو غلط فى تحديد ساعة محاولة الإنزال .

## فهرست أسماء الكتب والمقالات الواردة بالكتاب

١ - أضالى ، حسن - الأستاذ المؤرخ التركى - الوثائق الخاصة بالمسألة المصرية فى مجموعة قصر يلدز ، مقال بكتاب الأستاذ هولت الآتى ذكره باللغة الإنجليزية .

٢ - الأكاديمية العلمية السوفيتية - روسيا وأفريقيا ، مجموعة مقالات باللغة الإنجليزية ، طبع موسكو فى سنة ١٩٦٦ .

٣ - برودلى ، ألكسندر - الأستاذ المحامى البريطانى - كيف دافعنا عن عرابى وزملائه - باللغة الإنجليزية ، طبع لندن فى سنة ١٨٨٣ ، وطبع القاهرة بالأوفست فى سنة ١٩٨٠ .

٤ + ٥ - التونسى باشا ، خير الدين - رئيس وزراء تونس والدولة العثمانية

(أ) أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك ، باللغة العربية ، طبعة أولى بتونس سنة ١٨٦٧ ، وثانية بها بتحليل وتحقيق الأستاذ المنصف الشنوفى سنة ١٩٧٢

(ب) مذكراتى ، باللغة الفرنسية نشرها وعلق عليها الأستاذان جان بينون ، محمد صلاح مزالى طبع تونس فى سنة ١٩٧١ .

٦ — **جاروود ، ألفريد** — الموظف البريطانى بمصر — أربعون عاماً من حياة مهندس ، باللغة الانجليزية ، طبع لندن .

٧ — **جورديش ، الكوماندر** البحرى الأمريكى — تقرير عن العمليات البحرية والحربية فى مصر سنة ١٨٨٢ ، باللغة الإنجليزية طبع واشنطون فى سنة ١٨٨٥ .

٨ — **الرافعى ، عبد الرحمن** — الأستاذ المؤرخ المصرى — الثورة العرابية والاحتلال البريطانى ، باللغة العربية ، طبع القاهرة فى سنة ١٩٣٧ .

٩ — **روتشتين ، تيودور** — المؤرخ والسفير الروسى السوفيتى — تاريخ المسـألة المصرية سنة ١٨٧٥ — ١٩١٠ ، ترجمة باللغة العربية ، طبعة ثالثة بالقاهرة فى سنة ١٩٥٠ ، وباللغة الروسية طبع موسكو فى سنة ١٩٥٩ .

١٠ — **رويل ، شارلس** — القاضى والمؤرخ البريطانى — الحملات المصرية سنة ١٨٨٢ — ١٨٨٥ والحوادث التى أدت إليها ، باللغة الإنجليزية فى جزءين ، طبعة أولى بلندن فى سنة ١٨٨٦ .

١١ — **ستون باشا ، شارلس** — الجنرال الأمريكى العامل بمصر — الثورة العسكرية فى مصر ، ترجمة باللغة الأسبانية ، طبع هافانا بكوبا فى سنة ١٨٨٤ .

١٢ — **ستون** ، **الآنسة فانى** — الأمريكية المقيمة بمصر — مذكرات فتاة أمريكية بالقاهرة عن حرب سنة ١٨٨٢ ، مقال باللغة الانجليزية فى مجله سنشرى بالجزء ١٨ طبع نيويورك فى سنة ١٨٨٤ .

١٣ — **شستاكوف** — وزير البحرية الروسية — مذكرات، باللغة الروسية مخطوط بمكتبة لنينجراد العامة برقم ٨٥٦ .

١٤ — **فرسينيه** ، **شارل** رئيس وزراء فرنسا والكاتب عن الثورة العرابية — المسألة المصرية ، باللغة الفرنسية ، طبع باريس فى سنة ١٩٠٥ .

١٥ — **فكتوريا** — ملكة بريطانيا — خطابات الملكة **فكتوريا** ، المجموعة الثالثة ، باللغة الإنجليزية ، طبع لندن فى سنة ١٩٢٤ .

١٦ — فوخت — الضابط الألمانى — الحرب المصرية لسنة ١٨٨٢ ، ترجمة باللغة الإنجليزية عن اللغة الألمانية ، طبع لندن فى سنة ١٨٨٣ .

١٧ — **كامل** ، **سيد** — المؤرخ المصرى المعاصر — مؤتمر القسطنطينية والقضية المصرية لسنة ١٨٨٢ ، باللغة الفرنسية ، طبع باريس سنة ١٩١٣ .

١٨ — **كلبرج** — المؤرخ الروسى السوفيتى — **ثورة عرابى باشا فى** مصر ، باللغة الروسية ، طبع موسكو ولنينجراد فى سنة ١٩٣٧

١٩ ــ **كوبلاند** ــ المؤرخ البريطاني ــ سياسة جلادستون الخارجية باللغة الإنجليزية ، طبع لندن ونيويورك فى سنة ١٩٣٥ .

٢٠ ــ **كوسل بك** ــ الموظف البريطاني بمصر ذكريات إنجليزى عن مصر سنة ١٨٦٣ ــ ١٨٨٧ ، باللغة الانجليزية ، طبع لندن فى سنة ١٩١٥ .

٢١ ــ **كوكس ، فردريك** ــ المؤرخ الأمريكى المعاصر ــ المهمة البحرية للكولونيل لاى فى مصر سنة ١٨٧١ ــ ١٨٧٤ طبع بمجله كراسات التاريخ المصرى باللغة الانجليزية طبع القاهرة فى سنة ١٩٥٣ .

٢٢ ــ **كولفن ، أوكلاند** ــ المستشار المالى البريطاني بمصر ــ صنع مصر الحديثة ، باللغة الإنجليزية ، طبع لندن ونيويورك فى سنة ١٩٠٩ .

٢٣ ــ **ماليت ، إدوارد** ــ السفير البريطاني ــ مصر سنة ١٨٧٩ ــ ١٨٨٣ ، باللغة الإنجليزية ، طبع لندن فى سنة ١٩٠٩ .

٢٤ ــ المحاكم المختلطة المصرية ــ الكتاب الذهبي ، باللغة الفرنسية طبع الاسكندرية فى سنة ١٩٢٦ .

٢٥ ــ **مولينو ، رتشارد** ــ القبطان البحرى البريطاني ــ المحاربة فى جنوب إفريقيا ومصر ، باللغة الإنجليزية ، طبع لندن سنة ١٨٩٦

٢٦ + ٢٧ ــ **نرسيسوف ، جورجى** المؤرخ الأرمنى السوفيتى

ب أ) الأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ – ١٨٨٢ والسياسة الروسية دراسة مستندة إلى الوثائق الروسية الرسمية مقال ، باللغة الإنجليزية فى كتاب روسيا وأفريقيا ، المطبوع بموسكو فى سنة ١٩٦٦ ،

(ب) التاريخ الدبلوماسى للأزمة المصرية لسنة ١٨٨١ – ١٨٨٢ على ضوء الوثائق الروسية الرسمية ، باللغة الروسية ، طبع موسكو فى سنة ١٩٧٩ .

٢٨ – **نقاش** ، **خليل** سليم الأستاذ ومؤرخ الثورة العرابية المعاصر والمشاهد لها – مصر للمصريين فى خمسة أجزاء من الرابع حتى التاسع باللغة العربية ، طبع الاسكندرية فى سنة ١٨٨٤ .

٢٩ – **هولت** ، **ب** – الأستاذ المؤرخ البريطانى – التغيير السياسى والاجتماعى فى مصر منذ الفتح العثمانى حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، مجموعة أبحاث باللغة الانجليزية أشرف على نشرها ، طبع لندن سنة ١٩٦٨ .

٣٠ – وزارة الخارجية البريطانية – مجموعة الكتب الزرقاء عن المسألة المصرية عن سنة ١٨٨١ وعن سنة ١٨٨٢ ، باللغة الأنجليزية طبع لندن فى سنة ١٨٨١ وفى سنة ١٨٨٢ .

٣١ – وزارة الخارجية الروسية – التقويم الدبلوماسى للإمبراطورية

الروسية عن سنة ١٨٨٣ باللغتين الفرنسية والروسية طبع سان بطرس بورج فى سنة ١٨٨٣ .

٣٢ — وزارة الخارجية السوفيتية — مجموعة معاهدات روسيا مع الدول الأجنبيـــة ( سنة ١٨٥٦ — ١٩١٧ ) ، باللـــغة الروسية ، طبع موسكو فى سنة ١٩٥٢ .

٣٣ — وزارة الخارجية الفرنسية — مجموعة الوثائق السياسية الخارجية الفرنسية ( الكتب الصفر ) سنة ١٨٧١ — ١٩١٤، المجموعة الأولى ، باللغة الفرنسية ، طبع باريس منذ سنة ١٩٣٤ .

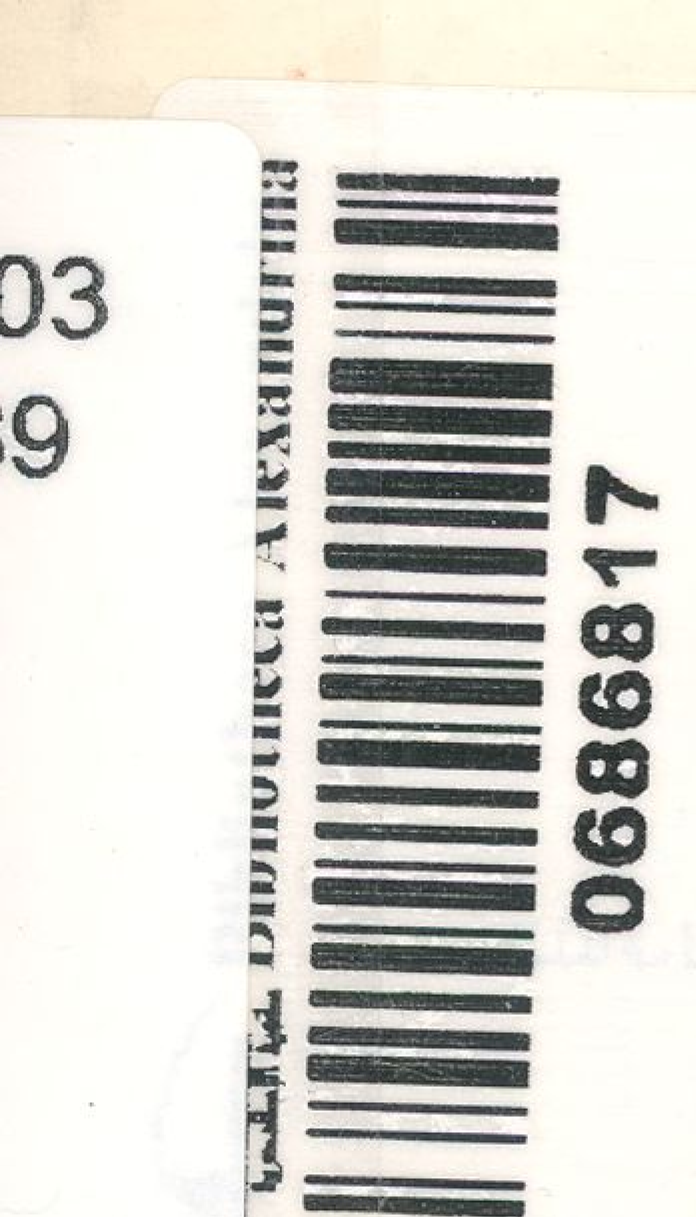
# فهرس

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٤٢٠/١٩٨٢

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٠٨٧ ـ ٠

لم تلق الثورة العرابية الاهتمام اللائق بها وما كتب عنها قليل لا يغطى جوانبها الداخلية أو الخارجية . وتفسير الماضى على ضوء ما استجد من مناهج البحث وما أتيح من مادة للدراسة مطلب فكرى وضرورى . ولا شك أن الوثائق الرسمية أو مذكرات المعاصرين التى سجلت أحداث الثورة إبان وقوعها تمثل إضافة جديدة للنظر إلى احداث الثورة العرابية ومجريات حوادثها وتأثيرها . فى الداخل والخارج على السواء . وهذه الوثائق تنشر باللغة العربية للمرة الأولى .




مطابع الهيئة المصرية ا

٩٥ قرشـاً